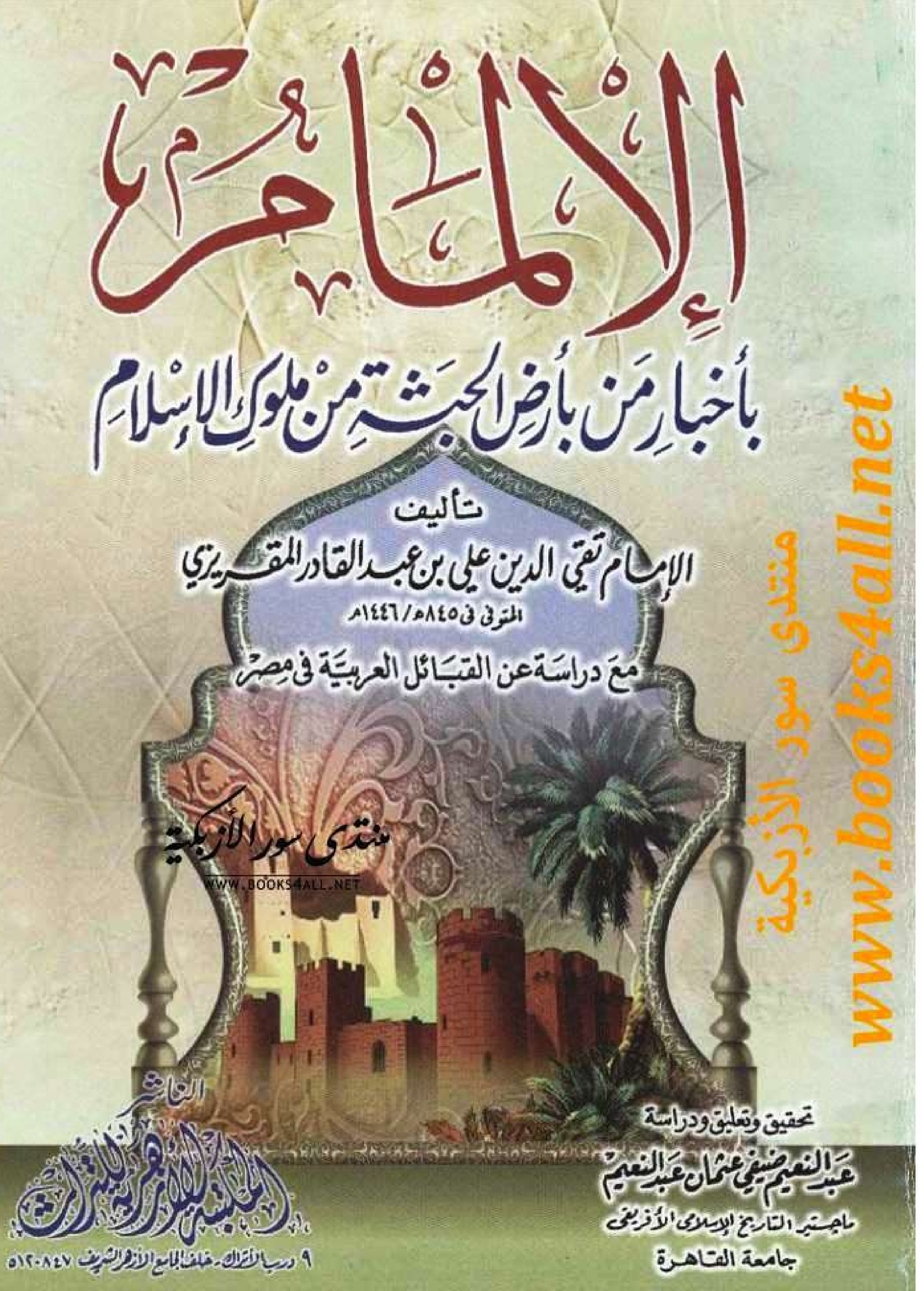

الإمام
بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام
تأليف
الإمام تقي الدين علي بن عبد القادر المقريزي
المتوفى في ٨٤٥هـ/١٤٤٦م
مع دراسة عن القبائل العربية في مصر
تحقيق وتعليق ودراسة
عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم
ماجستير التاريخ الإسلامي الأفريقي
جامعة القاهرة
الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ٥١٢٠٨٤٧
منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET
منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net



الإلمام

بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام

تأليف

الإمام تقي الدين علي بن عبد القادر المقريزي
المتوفى في ٨٤٥هـ / ١٤٤٦م

مع دراسة عن الإسلام في شرق أفريقيا والحبشة

تحقيق وتعليق ودراسة
عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم
ماجستير التاريخ الإسلامي الإفريقي
جامعة القاهرة

الناشر


٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع ١٨٧٠٣ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: 977-315-130-1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم وفهم، وعلم الإنسان مالم يكن يعلم. وأسبغ على عباده نعما ظاهرة وباطنة. والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد.

شهدت منطقه شرق إفريقيا عامة، وبلاد الحبشة خاصة، قيام علاقات بينها وبين الدول الإسلامية. وقد اتخذت هذه العلاقات عدة صور وأشكال. كما اختلفت فيما بينها من حيث طبيعة هذه العلاقات.

وقد كان للإسلام أثره الكبير في تنمية هذه العلاقات وبلورة شكلها. وصبغتها بالصبغة الإسلامية. مما أسهم في ظهور ثقافة إسلامية. وظهور مجموعة من العلماء، من أبناء البلاد تعلموا وارتشفوا من رحيق هذه الحضارة.

ونتيجة للاحتكاك بين علماء شرق إفريقيا وعلماء مصر. عن طريق رحلات الحج،أو القدوم للدراسة في الأزهر الشريف. ظهر علماء مصريون اهتموا بهذه البلاد وكتبوا عن تاريخها وجغرافيتها، كما نالت هذه المنطقة اهتمام الكثير من الرحالة والجغرافيين المسلمين الذين كتبوا عنها من أمثال ابن سعيد، عرب فقيه، القلقشندى ،العمرى، الإدريسي وغيرهم الكثير.

ويعتبر المقريزى من أبرز من كتبوا عن هذه المنطقة في رسالته التى بين أيدينا الآن. على الرغم من أنه لم يزرها ولكنه اعتمد على الروايات الشفوية، وقراءته في كتابات الرحالة الذين سبقوه. وعلى الرغم من ذلك جاءت كتاباته في منتهى الدقة.

وقد توافرت عوامل عديدة ساعدت على وفرة المعلومات عن هذه البلاد منها عدم وجود حواجز جغرافية أو سياسية بين أنحاء العالم الإسلامى، مما ساعد على حدوث تبادل ثقافي وعلمي بين العلماء المسلمين على اختلاف بلادهم. ومن العوامل أيضا التى ساعدت هؤلاء العلماء على الكتابات الجغرافية والتاريخية إحساس الأخوة الإسلامية الذى ربط بين الشعوب الإسلامية. واعتبار بلاد الإسلام بلدا واحدا من حق كل واحد أن يتناول تاريخها وجغرافيتها.

ومن حيث أهمية ظهور الكتاب في هذه الفترة. فإنه محاولة للكشف عن تاريخ لا نستطيع أن نقول أنه كان مجهولا، ولكن نقول كان مهملا، فاتجاه معظم الكتاب إلى كتابة تاريخ المشرق الإسلامى وانغماسهم فيه، يحركهم في ذلك مصالح، أو تعبير عن نزعات عنصرية وقبلية في كتاباتهم التاريخية التى تتناول موضوعات قتلت بحثا وكأن العالم الإسلامى حصر في منطقة آسيا فقط.

ومن أسباب ظهور الكتاب في هذه الفترة هو محاولة إيجاد تقارب عربي إفريقى في ظل عالم يتميز بأنه عالم التكتلات السياسية والاقتصادية. وما أحوجنا نحن العرب إلى مثل هذه الموضوعات التى

تساعد على الوحدة. ومن هنا تبرز أهمية إحياء التراث الذى يوظف الماضي للانطلاق تجاه الحاضر.

أما عن المنهج الذى اتبعته في إخراج الكتاب فقد رأيت أن أقدم دراسة عن الإسلام في منطقة شرق إفريقيا قبل التعرض لنص الكتاب الأصلى. ثم ألحقت بهذه الدراسة تعريفا للمقريزى وكتابه مع إضافة ملاحق تبين العلاقات بين مصر والحبشة. وملحق للغة "السواحيلية".

أما نص الكتاب فقد احتفظت بنصه الأصلى كاملا مع إضافة الحواشي وشرح غوامضه حتى تكتمل الفائدة، وأتمنى أن يجد الكتاب قبولا لدى القارئ.

والله سبحانه وتعالى هو الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم

شرق إفريقيا وبلاد الحبشة جغرافياً

من المعلوم أن للجغرافية أثر كبير في توجيه الأحداث التاريخية. كما أنها تعطى تفسيراً وتحليلاً لجميع الظواهر التاريخية والحضارية وانطلاقا من هذا اليقين نحاول أن نقدم لدراستنا بدراسةٍ عن جغرافية شرق إفريقيا عامة والحبشة خاصة حتى نستطيع أن نفسر كيفية انتشار الإسلام في هذه المناطق.

وقد تميزت طبيعة الأرض في منطقة شرق إفريقيا وفى بلاد الحبشة بعدة خصائص جعلتها تؤثر في اتجاهات السكان وحراكهم التاريخي، فطبيعة المنطقة أنها من المناطق الجبلية، ومناطق صحراوية، وجزر منعزلة بالإضافة للهضاب. مما فرض طوقا من العزلة على سكان هذه المنطقة وجعلهم يتأخرون حضاريا لسنوات طوال. بالإضافة لما تفرضه طبيعة المناطق الجبلية من تحصينات وعزلة يجعل من عملية غزو هذه المناطق عمليه ليست بالسهلة أو المتاحة؛ ولذلك لم تدخل المؤثرات الثقافية وغيرها إلا بالتسرب السلمى.[١]

وتضم منطقة شرق إفريقيا كل من إريتريا، والحبشة، وبلاد الصومال، وساحل كينيا، وجزيرة زنجبار، وجيبوتى. ونجد أن الصفة الغالبة على تضاريس هذه المنطقة هي وجود سلسلة من الهضاب والجبال العالية التى تفصل بين الساحل والداخل. وتترك هذه الهضاب

---

(١) حسن أحمد محمود: انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي،القاهرة. ١٩٦٨ ص٣٧٥.

بينها وبين الساحل سهول صحراوية أو شبه صحراوية مما كان له أبلغ الأثر في عزلة هذا القسم عن بقية القارة الإفريقية، كما أنها حسرت امتداد الإسلام تجاه الغرب.كما أنها جعلت توجه هذه البلاد تجاه شبه الجزيرة العربية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا(١) وجعلها تتصل بهذه العوالم عن طريق المحيط الهندي وباب المندب.

وقد توافرت عدة عوامل جعلت الاتصال بمنطقة شبه الجزيرة العربية وبلاد شرق إفريقيا تتم بسهولة ويسر. منها: ضيق المساحة في البحر الأحمر عند مضيق باب المندب مما سهل عملية الانتقال والهجرة من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة شرق أفريقيا.

كما كان للرياح أثرها أيضا في تدعيم هذا الاتصال، فالرياح الموسمية التى تهب في شهر ديسمبر من كل عام متجهة إلى الشمال الشرقي، وتستمر في الهبوب حتى آخر شهر فبراير، ثم تغير اتجاه هبوبها تجاه الجنوب الغربي، في الفترة من إبريل إلى شهر سبتمبر ساعدت على انتقال الهجرات من الساحل الشرقي لشرق إفريقيا إلى مناطق شبه الجزيرة العربية، وانتقال المؤثرات الحضارية من شبه الجزيرة العربية إلى سواحل شرق إفريقيا.(٢)

وأيضا تميزت منطقة الساحل الشرقي لإفريقيا بوجود سلسلة من الجزر أصبحت نقط ارتكاز ومراكز تجارية مما ساعد على انتشار الإسلام في هذه المناطق.

---

(١) حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره، ص ٣٧٦.

(٢) المرجع السابق. نفس الصفحة.

ولو تحدثنا عن جغرافية هضبة الحبشة. فسنجد أنها عبـارة عـن هضبة، شكلها مستدير، شاهقة الارتفاع ويبلغ متوسط الارتفـاع حـوالي ألف وخمسمائة متر، وعليها بعض القمم الجبلية العاليـة التـى يتـراوح ارتفاعها ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف متر، وأحيانا يصل الارتفاع إلـى خمسة آلاف مترمثل قمة جبل دشان في إقليم سمن، وجبل تشـوكي فـي جود جام، وشكل الجبال مخروطي الشكل. وصخوره نارية.(١)

وتتخلل القمم العالية هضاب مسـتوية السـطح، وتحتـوى هـذه الهضاب على عدة أودية تتميز بشدة العمـق. ومعظـم صـخور هـذه الهضاب من النوع البازلتي الأسود. ومن هذه الصخور تكونـت تربـة مصر الخصبة.(٢)

ويخترق الأخدود الإفريقى الهضبة من الجنوب للشرق، ويحتـوى على مجموعة من البحيرات. منها بحيرة رودولف وبحيرة زوى جنـوب أديس أبابا. أما بقية الإقليم فيجرى فيه نهر أواش من ناحية الشرق.

أما عن أشهر الظواهر الجغرافية في هضبة الحبشة. فهي بحيـرة تانا، التى تقع في منتصف الهضبة، وهى على شكل مثلث قاعدته شمالا. وتنحدر إليه مجموعة من الأنهار الصغيرة التى تنبـع مـن المرتفعـات المحيطة بها، ومن أشهرها نهر أباى الصغير الذى يصـب فـي ركنهـا الجنوبي الغربي، ويعتبر رافد يمد النيل الأزرق بالمياه طول العام. ويبلغ

---

(١) زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٦٦. ص٧.

(٢) زاهر رياض: المرجع السابق. ص ٨.

ارتفاع هذه البحيرة حوالي (١٨٤٠) متراً فوق مستوى سطح البحر. وتبلغ مساحتها حوالي (٣,٦) كيلو متر مربع.[١]

أما عن الأنهار المشهورة في إثيوبيا، فيبلغ عددها أربعة أنهار وهى النيل الأزرق وينبع من جنوب بحيرة تانا، ويكون ممتلئ بالبرك والمستنقعات. ثم يلتف حول هضبة جودجام من الشرق والجنوب فيمتلئ بالمياه من الروافد الصغيرة . ثم يتجه شمال غرب حتى يلتقي بالنيل الأبيض في الخرطوم، ويتصل به فرعان هما الدندر والرهد اللذان ينبعان من شمال هضبة جودجام، ويعترضه خلال سيره الشلالات التى تسقط عليها المياه بعنف ويسمع لها صوت أشبه بالرعد.[٢]

أما النهر الثاني الذى يجرى في الأراضى الحبشية فهو نهر أومو. الذى ينبع من هضبة كافا في الجنوب الغربي، ويتجه جنوبا في مجرى ملتوى حتى يصب في شمال بحيرة رودولف التى تقع في الأخدود الإفريقى، وتشترك هذه البحيرة مع ثلاث دول: الحبشة، أوغندا، كينيا. [٣]

وثالث هذه الأنهار. هو نهر وبي شيلى، وله أكثر من عشرة منابع. وينبع من الطرف الجنوبي الشرقي لهضبة إثيوبيا. ويعزله الأخدود الإفريقى عن هضبة إثيوبيا، ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي ويقطع مسافة مائتي ميل ثم يدخل الأراضى الصومالية. ويتميز مجرى هذا النهر

---

(١) زاهر رياض: مرجع سبق ذكره، ص٨.

(٢) المرجع السابق. ص٩.

(٣) نفس المرجع. نفس الصفحة.

بالضيق والعمق في أجزائه العليا. وعندما يقترب من المحيط الهندي يجد عائقاً في المصب نتيجة وجود كثبان رملية، تجعله يتجه جنوبا.(١)

أما النهر الرابع والأخير فهو نهر أواش. الذى تمده عدة روافد تنحدر من غرب هضبة شوا. ويحمل هذا النهر في فصل الأمطار كمية من الغرين يلقيها في قاع الأخدود مما يجعله يكوِّن بحيرة كبيرة. ويسمى النهر حتى الأخدود باسم أكاى. وعندما يسير شرقا يسمى نهر أواش، ثم يتجه اتجاه شمال شرق حتى صحراء الدناكل فتهدأ سرعته ويتسع مجراه، ولكنه يفقد مياهً كثيرةً نتيجة التبخر.

وتقع هضبة الحبشة ما بين (٤-١٨) شمالا. وكان لهذا الموقع أثره على مناخ هذه الأنحاء. فالمنخفضات الشرقية والأودية شديدة الحرارة، وتسمى هذه المناطق عندهم باسم القلاء. أما المناطق المرتفعة فتسمى بالديجا وهي شديدة البرودة. أما المناطق المتوسطة الارتفاع فتسمى وينا دبجا وهى من أفضل المناطق السكنية وأشدها ازدحاماً. (٢)

وقد كان لجغرافية الحبشة أثر في توجهات السكان وأيضا في التاريخ الحبشي، ومن مظاهر هذا الأثر طبيعة البلاد الجبلية فجعلتها قليلة السكان. وسرعة جريان الأنهار وشدة عمقها جعل السكان ينصرفون عن الزراعة ويعملون بالرعي؛ ولذلك نجدهم متنقلين كعادة الرعاة ولا يستقرون في مكان واحد.

---

(١) زاهر رياض: مرجع سبق ذكره، ص ١.

(٢) المرجع السابق. ص١١.

وكان من نتائج انتشار الرعي في الهضبة سيادة النظـام القبلـي وعدم وجود مراكز عمرانية. إلا في النزر اليسير مثل مدينـة أكسـوم، وجواندار. وأيضا أدى لانتشار النمط البدوي عدم وجود حضارة. فمـثلا حكى لنا المقريزى في كتاب "الإلمام" أن الملك كان يسير عاريا، ويأكـل أحشاء البقر نيئة.

وأيضا أثرت البيئة الجبلية في التوجه السياسي للـبلاد، فجعلـت البلاد تعيش في استقلال تام بعيدا عن الغزو العسكري نتيجة فقـر هـذه البيئة. كما أن خصائص البيئة الجبلية تجعل البلاد خاليـة مـن التـأثير الثقافي نتيجة عزلة السكان وعدم اختلاطهم بالآخرين.

علاقة شرق إفريقيا والحبشة بالعرب والإسلام

العلاقات بين العرب، ومنطقة شرق إفريقيا تعود لعصور سابقة على الإسلام. فقد توغل العرب في هذه المنطقة منذ القدم، متخذين الأنهار وسيلةً للتوغل تجاه الداخل. وكونوا مراكز استقرار على السواحل في إريتريا والصومال. وكان السبب الداعي لهجرة هؤلاء هو التغيرات المناخية التى حدثت في شبه الجزيرة العربية. ومن أشهر القبائل المهاجرة كانت قبيلة حبش وهي التى أعطت البلاد اسمها.[١]

وقد كان هؤلاء المهاجرون أشد تقدماً ورقياً من السكان الأصليين. وقد سكنوا أفضل الأماكن، وتركوا السكان الأصلين يسكنون المناطق المنخفضة واستطاع هؤلاء المهاجرون تكوين مملكة أكسوم.

وقد عرفت شبه الجزيرة العربية الأحباش الذين كانوا رقيقا. وتزوجوا منهم وأنجبوا سلالات لعبت دورا في الحياة، فمن ينسى عنترة بن شداد الشاعر العربي المشهور، وغيره الكثير.

وقد غزا الأحباش بلاد اليمن في عهد دولة حمير، عندما كان يوسف ذو نواس يحكم حمير وكان يهودي يضطهد النصارى ويكره الرومان. وعندما استنجد النصارى بالروم حرض الإمبراطور الروماني جستنيان الأحباش في عهد جبرا ماسقال(٥٥٠-٧٥٠م) بغزو اليمن، فأرسل أبرهة الأشرم بحملة غزت مملكة حمير، وحاول غزو بلاد

---

(١) زاهر رياض: مرجع سبق ذكره، ص٢٥.

الحجاز، ولكنه فشل بسبب الطير الأبابيل. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ صدق الله العظيم.[١] وتعرف هذه الحادثة عند العرب بعام الفيل.

أما عن علاقة العرب بالساحل الشرقي لإفريقيا قبل الإسلام. فقد أسس العرب المهاجرون بعض مراكز تجارية على الساحل الإفريقي الشرقي، كانت تدين بالولاء لأمراء مملكة حمير في اليمن، وكانت السفن تأتى من جنوب الجزيرة العربية للتبادل التجاري بينها وبين تلك المراكز التجارية العربية.[٢]

وقد تميز الوجود العربي قبل الإسلام في الساحل الشرقي لإفريقيا بالوجود المؤقت، ولم يحاولوا التوغل داخل القارة، وعملوا بتجارة الذهب والرقيق والعاج الذى كان يتم تصديره إلى دولتي الفرس والروم.

وكان يؤتى بهذه البضائع من الداخل بواسطة زعماء القبائل الإفريقية. حيث تتم عملية المقايضة بينهم وبين العرب، ثم يتم تخزين هذه البضائع حتى موسم الرياح التجارية فتاتى السفن وتحمل البضائع إلى ساحل شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، وكان العرب يدفعون ثمن هذه البضائع خرزاً، كان يتم إحضاره من الهند.[٣]

---

(١) القرآن الكريم: سورة الفيل، آية رقم ١.

(٢) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة١٩٧٥. ص٥٣.

(٣) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق. ص٥٤.

وقد زاد نشاط العرب في التجارة مع سواحل إفريقيا الشرقية مما كان له أثره في تجارة الرقيق التى شهدت انتعاشا كبيرا، وكان من نتائج تجارة الرقيق ازدياد عدد الزنوج في شبه الجزيرة العربية.





شرق إفريقيا والحبشة بعد ظهور الإسلام

بعد ظهور الإسلام حدثت تطورات هامة غيرت من هذه الأسباب التى أدت للوجود العربي حيث تغيرت الأسباب التجارية والتى كانت تحمل طابع الهجرة المؤقتة إلى الهجرة الدائمة، وإقامة كيانات سياسية، وإمارات عربية، وكثرة عدد العرب المقيمين في هذه الأماكن في شرق إفريقيا.

وقد توافرت عدة عوامل جعلت العرب يستوطنون هذه المناطق، من هذه العوامل ازدياد الصراع بين الأمويين والعباسين، وقد كانت أول هجرة، هي هجرة جماعة من أتباع المذهب الزيدى، وقد أسموهم أموزيدج، وهم من الشيعة، الفارين من الدولة الأموية.(١)

ثم تبعتهم مجموعة أخرى في ثلاث سفن بزعامة سبعة إخوة كانوا هاربين من ملك الإحساء، وتسمى هجرة الإخوة السبعة. وقد استطاعوا تكوين مدينة مقدشو. في منتصف القرن العاشر.(٢)

أما الزيدية فقد دخلوا في صراع مع الإخوة السبعة نتيجة الاختلاف في المذهب فاضطروا للتوغل في الداخل، حيث اندمجوا مع القبائل الزنجية وتزاوجوا معهم، وتطبعوا بطباعهم وأخلاقهم.

---

(١) توماس أرنولد: الدعوة للإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧. ص٣٧٨.

(٢) الدعوة للإسلام. ص٣٧٨.

كما شهدت منطقة شرق إفريقيا. قدوم هجرة جديدة من الخليج العربي نزلوا تجاه الجنوب، وكان زعيمهم على بن حسن سلطان شيراز. حيث نزل إلى الجنوب، متجنبا سلطنة مقدشو، واستطاع أن يكون إمارة عربية في كلوة. وأصبحت إمارة مستقلة.[١]

وكان من نتائج هذه الهجرات العربية إدخال المؤثرات الإسلامية العربية إلى منطقة الساحل الشرقي الافريقى، فكثر بناء البيوت، وتأسيس إمارات كما أسلفنا من قبل، وأصبحت هذه الأماكن تجتذب الكثير من العرب الفارين. وخصوصا بعد سقوط بغداد على يد المغول.

أما بالنسبة للحبشة فعلاقتها بالإسلام والمسلمين علاقة قديمة. تعود إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أمر أصحابه بالهجرة للحبشة فرارا من اضطهاد قريش؛ ولأن ملكها لا يظلم أحدا **«لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»**[٢]

وقد كانت الهجرة الأولى مكونة من عشرة رجال، وأربع نسوة، ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثة وثمانين رجلا وسبعة عشر امرأة عدا الأطفال. وقد أكرم النجاشي وفادتهم، وعاشوا في اطمئنان، واستقر

---

(١) توماس أرنولد: الدعوة للإسلام، ص٣٧٩.

(٢) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٥٧. ص١١٦.

بعضهم بالحبشة، وعاد بعضهم إلى مكة المكرمة قبل هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يثرب في عام (٦٢٢)م.[١]

وفى العام السادس من الهجرة النبوية الشريفة، الموافق عام (٦٢٨)م أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم، كتبا إلى الملوك والحكام يدعوهم للدخول في الإسلام، ومنهم النجاشي التى تذكر بعض الروايات العربية أنه أسلم.[٢]

وقضية إسلام النجاشي قضية فيها أقوال كثيرة فهناك من يؤيدها، وهناك من لا يعتقد بصحة إسلام النجاشي، وقد استند كل فريق إلى ما يؤيد قوله فالفريق الذى يؤيد فكرة إسلام النجاشي يركن إلى حسن استقبال النجاشي للمهاجرين، ورفضه تسليمهم لقريش عندما أرسلت وفدا طلب من النجاشي تسليم المهاجرين إليهم، وأيضا نعى الرسول عليه الصلاة والسلام النجاشى عند موته.[٣]

أما الفريق الذى يتحدث عن عدم إسلام النجاشي. فيعتمد على أن الإسلام لم يدخل الحبشة إلا بعد مدة طويلة. واستندوا إلى رواية الطبري وابن الأثير في أن الحبشة أغارت على طرف من أطراف الإسلام، فأرسل عمر بن الخطاب علقمة بن مجزز العلقمى في سرية بحرية فأصيبوا مما جعل الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يرفض أن يحارب المسلمون في البحر.

---

(١) حسن إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره، ص١١٦.

(٢) المرجع السابق. ص١١٧.

(٣) نفس المرجع. نفس الصفحة.

ولمحاولة التوفيق بين الرأيين. يمكننا القول أن إسلام النجاشي كان بصفة فردية دون إجبار شعبه على اعتناق الإسـلام. أمـا بخصـوص المشكلة السياسية التى حدثت في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ربما تكون قد حدثت بعد ارتداد السكان. ومسألة الارتداد عـن الـدين كانت ظاهرة ملحوظة في التاريخ الحبشي.

وقد توافرت عدة عوامل ساعدت الإسلام علـى الانتشـار فـي الحبشة. وتتمثل هذه العوامل في إسلام القبائل البدوية مثل قبيلة البجـة، ووجود جماعات المهاجرين، بالإضافة للطرق التجارية، وأسباب تتعلـق بالحبشة نفسها. وسنحاول استعراض هذه العوامل.

أولا: إسلام بعض القبائل البدوية:

من أشهر القبائل التى لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام في شرق إفريقيا وبلاد الحبشة قبائل البجة، وتمتد بلادهم من شمال الحبشة حتـى حدود مصر الجنوبية، وقد قاموا بدور كبير في التبـادل التجـاري بـين مصر وبلاد الحبشة، واتصلوا بالعرب الفاتحين لمصـر منـذ اللحظـة الأولى.

وكان أول اتصال بين العرب والبجة عندما أرسل عبد الله بن سعد حملة لم تستطع دخول بلادهم؛ ولذلك لم يوقع معهم معاهدةً ولا صـلحاً، وإن كانت بلاد البجة بعد ذلك أصبحت محوراً لاهتمامـات الـولاة فـي مصر نظراً للدور الذى يمكن أن يلعبوه في تنمية التجارة وتأمين حـدود

مصر الجنوبية. ولم يتوقف هذا الاهتمام على الولاة فقط بل تعداه إلى القبائل العربية التى هاجرت إلى مصر.[١]

فخرجت جماعات من قيس، وبلى، ومن غيلان، ودخلوا أرض البجة، وقاموا بمصاهرة الأهالى، والإقامة بينهم، مما ساعد على انتشار الإسلام بين قبائل البجة، وازدياد الصلات بين العرب وبين البجاويين. وكانت هجرات العرب تجاه أرض البجة تدفعها أسباب سياسية واقتصادية.

ومع مطلع القرن الثالث الهجري بدأ النفوذ العربي يتغلغل ويصل إلى أقصى مداه جنوبا، حتى اقترب من حدود الحبشة، كما شهد ظهور ملامح التأثير العربي في حياة البجة. وقد وضح هذا التأثير في قيام أحد أمراء البجة باتخاذ لقبٍ عربىٍّ، وهو كنون بن عبد العزيز.

ولكن البجة أحيانا كانوا يقومون بالإغارة على حدود مصر، كما حدث في عهد الخليفة العباسي المتوكل الذى سير لهم جيشا بقيادة عنبسة ابن إسحق القمى الذى أجبرهم على احترام تعهداتهم، ودفع الخراج، وكان أمير البجة في ذلك الوقت على بابا.[٢]

وقد كان من نتائج هذه الغزوة السماح للعرب بالإقامة بحريةٍ في أراضى البجة، ونتيجة لذلك زاد حجم التواجد العربي في بلاد البجة، ولعل من أبرز الأمثلة على شدة التواجد العربي هو اختلاطهم بربيعة، وأن جيش الأمير ربيعة بن أبى مروان بن بشر بن إسحاق والذي بلغ

---

(١) حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره. ص٣٨١.

(٢) حسن أحمد محمود: المرجع السابق. ص٣٨٣.

حوالي ثلاثة آلاف فارس من ربيعة، وثلاثين ألفا من الأبالة من الحدراب وهم من مسلمى البجة.

وقد اتخذت هذه الإمارة البجاوية العربية من ميناء سواكن عاصمة لهم. مما جعلهم يصطدمون مع المماليك، مما جعل الظاهر بيبرس يجرد لهم حملة، استطاع من خلالها تقوية نفوذ مصر في سواكن، كما قام بتعيين أميرها نائبا للسلطان.

ومن القبائل البدوية أيضا البقليين، الذى بدأ الإسلام يتسرب لهم، منذ القرن العاشر الميلادي. وهم قبائل تعيش في وادي بركة. وكانوا يخضعون اسميا لملك علوة، وقد اتخذوا اللغة العربية لغة للحديث، وقاموا بتأدية فريضة الحج.

وهكذا يتضح دور هذه القبائل في نشر الإسلام في الحبشة، وإن كان يتم بطريق غير مباشر، ولولا انتشار المسيحية في الحبشة لكانوا توغلوا في الحبشة، ولكن استطاعوا إدخال الإسلام سلميا.

أما عن الطرق التجارية، فيأتى الطريق البحري على رأسها،حيث ربط هذا الطريق بين بلاد شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام وبين بلاد الحبشة، وقد ذكرنا هذه الطرق من قبل.

أما عن التواجد العربي في أرض الحبشة فيعود إلى عام (١٣٠٠م) عندما بدأ أحد الدعاة المسلمين الدخول في الأراضى الحبشية، واستطاع إقناع ما يقرب من مائتي ألف من المسلمين هاجم بهم ملك أمحرة، واشتبك معهم في كثير من المعارك.

وقد كان للعرب المقيمين في الحبشة اتصال بملك الحبشة، وكـان يسند إليهم مناصب هامة في الدولة، كما كان العرب في المنـاطق التـى تمتد من البحر الأحمر حتى سنار غربا، وفى الجهة الجنوبية، والجنوبية الشرقية، تدفع الجزية لملك الحبشة.

ومن العوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام في الحبشة عوامل تخص الأحباش أنفسهم، منها انشغال الحبشة بالحروب الداخلية، وما نتج عنها من اضطراب في الأمن، مما مهد الطريق أمـام القبائـل العربيـة للاستقرار في الساحل، وطرد الأحباش إلى الداخل.

وثانى العوامل التى تتعلق بالأحباش، والتي ساعدت على انتشـار الإسلام في أراضيهم هو محاولة الأحباش التحالف مع البرتغاليين الـذين كانوا يرغبون في وقف مد النفوذ التركي، الذى أخذ في الظهور بمنطقـة البحر الأحمر وخصوصا مضيق باب المندب، وبـلاد الـيمن، وشـرق إفريقيا. مما جعل العثمانيين يتحالفون مع إمارة عدل الإسلامية، وأمـدوا أميرها بالأسلحة النارية، وحرضوه على غزو الحبشة، فزحف في جيشٍ يتكون من العرب المتطوعين والأشراف وزعماء الحبشة، وغزوا شعب الجلا، وهرر، وأكسوم، وقد استمرت هذه الغزوة مدة خمس عشر سـنة من عام (١٥٢٨) إلى (١٥٤٣)م.

وكان من نتائج هذه الغزوة تحول الكثير من الأحباش إلى الـدين الإسلامى، كما كانت فرصة لزعماء المسلمين للتحالف مـع إخـوانهم، وأيضا كانت فرصة للذين ارتدوا عن دينهم الإسـلامى تحـت ضـغط الأحباش لأن يعودوا إلى دينهم مرة أخرى.

وفد وجد الإسلام الترحيب من قبائل الجلا الذين قد استوطنوا بلاد الحبشة، وينقسمون إلى سبع قبائل تسمى والوجا، وهو اسم الجنس الذين ينتمون إليه، وأكثرهم يقيم في جنوب الحبشة. وقد تحول بعضهم إلى الإسلام في عام (١٥٠٠)م، وكان بعض التجار فد نشروا الإسلام في سهول الجلا.

ولم يكتف الجلا بكونهم اعتنقوا الإسلام فقط بل تحولوا بدورهم لدعاة للدين الجديد، فقد انتهزت هذه القبائل وجود نزاع بين المسيحيين في الحبشة، والذي كان من أسبابه محاولة البرتغاليين نشر المذهب الكاثوليكي بين الأحباش. مما ترتب عليه وجود صراع بين اليعاقبة والكاثوليك. وأيضا الاضطرابات التى حدثت في البلاد بالتوغل في الداخل ونشر الإسلام.

ولم يكن انتشار الإسلام في الحبشة نتيجة الجهود العربية وحدها، بل شارك في هذه المجهودات المسلمون الأفارقة، والذين كانوا يعيشون في مدينة قوص، وهم أهل التكرور، وكانوا يعرفون باسم الكانمية، وكانوا يعملون بتجارة التوابل، مما ساعد على نمو ثرواتهم، فانضم إليهم التجار المسلمون من كل مكان.

وكان هؤلاء التجار الكانمية على جانب كبير من الورع والتقوى، وحملوا على عاتقهم الدعوة للإسلام. لدرجة أنه كان منهم العلماء والفقهاء والقراء والمحدِّثون. وقد دخلوا إلى الحبشة تحت ستار التجارة، وكانوا يجدون ترحيبا في كل مكان يصلون إليه، بصفتهم تجار رقيق، وكانوا يساعدون الحكام في تجارة الرقيق، كما أنهم استغلوا طول إقامتهم في

البلاد لجذب السكان للدين الإسلامى، فأسلم على أيديهم الكثير من الأحباش[١].

وقد توافرت عوامل عديدة جعلت هؤلاء الكانميين ينجحون في نشر الإسلام، منها: انقسام الحبشة إلى ممالك صغيرة، وانشغالها بالصراع بينها البعض، وأيضا كراهية الأحباش الفقراء للملوك نتيجة فرض الضرائب الباهظة عليهم، بالإضافة إلى أن المسلمين كان يحتلون مكانة اجتماعية رفيعة وحرية وإقبالاً على التعليم لدرجة أن حكام الحبشة إذا أرادوا شخصا يثقون فيه كانوا يختارونه من المسلمين.

ولكن الإسلام كان يتقدم ببطء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. مستغلا جمود رجال الدين المسيحيين، والنزاعات بين الأمراء. ووصل في تغلغله إلى الطبقة الحاكمة، فمثلا نجد أن الرأس على، وهو أحد نواب الملك أعلن إسلامه، وفى فترة حكمه تحول معظم أهالى الولايات الوسطي للإسلام.

ومن العوامل أيضا التى ساعدت على استقرار المسلمين في الحبشة: توقف مشاريع مصر في شرق إفريقيا بعد عزل إسماعيل، وثورة عرابي، وظهور الثورة المهدية في السودان التى بدأت تهتم بنشر الإسلام في الحبشة واتخذت مدينة القلابان مركزا لمد النفوذ الإسلامى داخل الحبشة.

---

(١) حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره، ص٤٢١.

أما عن موقف الأحباش من المد الإسلامى لهم، فقد حاولوا انتزاع مدينة القلابات، والقضاء على نفوذ الدعوة المهدية. وبدأت الدولة في تضييق الخناق على المسلمين وخصوصا في عهد منليك الذى تولى بعد وفاة الملك جون في عام(١٨٨٩)م. وعاد الدين المسيحي الدين الرسمي في ولاية كافا. وعلى الرغم من ذلك ظل الدين الإسلامى ينتشر بين الناس.(١)

وقد حدث في عهد ليج إياسو حفيد منليك والذي تولى الحكم قيامه بإنكار المسيحية وادعائه بأنه من سلالة النبي صلى الله عليه و سلم، وارتدى ملابس المسلمين، ونقش على العلم الحبشي شعار: "لا اله إلا الله محمد رسول الله"، وأعلن تبعية بلاده في الشئون الدينية للدولة العثمانية وأعد جيشا لإعلان الجهاد. ولكن الدول الأوربية قامت بعزله.(٢)

---

(١) حسن إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره، ص١٢٤.

(٢) المرجع السابق. ص١٢٥.

الدول الإسلامية في منطقة شرق إفريقيا والحبشة

لقد شهدت منطقة شرق إفريقيا ظهور العديد من الدول الإسلامية، والتي أعطت البلاد شكلها الإسلامي، واستطاعت نشر الثقافة الإسلامية في هذه الأصقاع، ومن أشهر هذه الدول:

١- سلطنة شوا الإسلامية (٢٨٣-٦٨٤هـ/٨٩٦-١٢٨٥م):

أسس هذه السلطنة أسرة عربية تسمى بني مخزوم في عام (٢٨٣هـ/٨٩٦م). وقد استمرت هذه السلطنة مدة أربعة قرون تمتعت خلالها بالأمن والاستقرار وازدهار العمران، لدرجة ظهور ما يقرب من خمسين مدينة بها، مثل مدينة هجلة، ودجن، ومورة، والزنانير، والمحررة، وحيب.[١]

وقد ازدهرت هذه السلطنة اقتصاديا، نتيجة عمل أهلها بالزراعة، وتمتع الأسرة الحاكمة بالثروة والنفوذ، وكان من نتائج هذا الازدهار الاقتصادي أن شهدت الدولة قدوم الهجرات إليها، مما ساعد على توسع الدولة.

وقد كان النظام السياسي والإداري في سلطنة شوا هو النظام السائد في معظم البلاد الإسلامية، فوجد منصب الوزير وقاضي القضاة. كما ازدهرت البلاد علميا و ثقافيا.

---

(١) رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة١٩٩٧. المجلد الثاني. ص٢٥٢ :٢٦٢.

وقد توافرت عدة أسباب جعلت سلطنة شوا تعيش في استقرار، وسلام مع دولة الحبشة. وهذه العوامل تعود لظروف الحبشة نفسها، ومنها ما يعود إلى سلطنة شوا.

أما الظروف التى تعود للحبشة، فهي حالة الفوضى التى كانت في أواخر دولة أكسوم، وعند بداية تكوين شوا، وكان السبب في عدم استطاعة أكسوم القضاء على سلطنة شوا هو بعد شوا التى تقع في الجنوب عن أكسوم التى تقع في الشمال، وعندما قامت دولة الأجوين في إثيوبيا، كان الصدام بينها وبين المسيحيين في عام (٣٢٩هـ/٩٤٠م)، لأن أول ملوك هذه الأسرة كانت امرأة يهودية أمرت بهدم الكنائس واضطهاد المسيحيين.

بالإضافة إلى أن دولة الأجوين كانت دولة إقطاعية فقام الأمراء والإقطاعيُون بفرض نفوذهم على ما يقع تحت أيديهم من بلاد، وانحصر نفوذ الملك داخل أسوار عاصمته، وكان من نتائج ذلك قيام صراع بين الأمراء والدولة الحبشية، مما جعل الأجواء نقية لتنعم سلطنة شوا بالهدوء.

ومن الأسباب التى ساعدت على استقرار سلطنة شوا، وتعود لظروف السلطنة هو موقع السلطنة الحصين، حيث كان يحيط به الجبال العالية الوعرة التى تحيط بمجرى نهر تكازى الأعلى من اليمين ونهر النيل الأعلى من اليسار، مما أكسب البلاد حصانة ضد أى اعتداء. وأدت خصوبة التربة وانتشار الزراعة أن وفرت للبلاد كفايتها الغذائية.

وقد استغلت أسرة بنى مخزوم هذا الهدوء والسلام اللذين تمتعوا بهما لفترة طويلة امتدت لما يقرب من ثلاثة قرون ونصف في تنمية قدرات البلاد الاقتصادية والسياسية، وقد مدوا نفوذ الأسرة إلى الممالك الإسلامية في بلاد الزيلع عن طريق المصاهرات مثل الزواج الذى تم بين السلطان دلمارة بن مالزرة بن محمد بن حسين وبنت والى لشمع سلطان أوفات.

ولكن نفوذ سلطنة شوا الإسلامية لم يمتد طويلا بسبب اضطراب الأحوال السياسية بها وكثرة الفتن التى ألمت بالدولة، وخصوصا في الخمسين عاما الأخيرة من عمرها. مما جعل حكام أوفات يقومون بالإغارة عليها، وإسقاطها وضمها إلى أملاكهم. وأصبحت دولتهم تمتد من ساحل البحر الأحمر إلى داخل الهضبة الحبشية.

وقد قام سلاطين شوا بنشر الإسلام في الحبشة مثال ذلك ما قام به أحد السلاطين ويسمى حربعر بنشر الإسلام داخل الحبشة في منطقة جبلة في عام (٦٠٢هـ/١١٠٨م) وفى بلاد أرجوبة. وقد أضيفت هذه المناطق إلى سلطنة شوا.

أما عن انهيار سلطنة شوا الإسلامية. فكان له أسباب عديدة: اقتصادية، ونزاع داخلي، وأطماع خارجية. فالأسباب الاقتصادية هي نتيجة نوبة الجفاف التى ألمت بالسلطنة في الثلاثين عاما الأخيرة من عمرها. مما ترتب عليه حدوث مجاعات وأوبئة فتكت بالسكان، ونتج عن ذلك حدوث خلخلة سكانية كبيرة جعلت البلاد لا تصمد في أية مواجهة.

أما ما يخص النزاع الداخلي، والذي أسهم بدوره في ضعف وسقوط سلطنة شوا. فقد حدث في المائة عام الأخيرة من عمر الدولة، وتمثل هذا النزاع في الصراع الداخلي بين الأمراء، وتولى النساء الحكم، وكثرة حركات التمرد وخصوصا في عصر السلطان عبد الله، الذى تولى الحكم في عام (٥٩٠هـ/١١٩٤م).

وكان السلطان عبد الله قد اغتصب الحكم من صاحب الحق الشرعي بعد وفاة السلطان حسين، وقد استمر في الحكم لمدة اثنين وأربعين عاما في المدة من (٥٩٠هـ -١١٩٤م) إلى (٦٣٢هـ-١٢٣٥م) وقد قامت ضده ثورة أطاحت به في مكان يسمى مدجة. وعاد الحكم مرة ثانية لأصحابه الشرعيين.

فتولى محمد بن حسين الحكم، وتولى من بعده ابنه مالزرة، واستمر حكمه مدة أربعة عشر عاما . ثم أعقبه جماعة من مغتصبي السلطة ثم عاد الحكم مرة ثانية إلى دلمارة بن مالزرة في عام (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) وفى عهده اشتد الصراع بين أمراء الأسرة الحاكمة.

أما الأطماع الخارجية والتى أسقطت سلطنة شوا فكانت نتيجة طبيعية للصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وتمثل هذا عندما تدخل ولى لشمع سلطان أوفات للانتقام من قتلة دلمار، والذي كان قد استعان بالحبشة، فحارب ولشمع العصاة، وحافظ على سلطنة شوا من الوقوع في يد الأحباش.

٢- سلطنة أوفات الإسلامية (٨٠٥-٦٤٨هـ/١٢٥٠- ١٤٠٢م):

شهدت بلاد الزيلع، وهى البلاد التى تحيط بهضبة الحبشة من الشرق والجنوب الشرقي، والمعروفة الآن بجيبوتي، وإريتريا، وإقليم الأوجادين ظهور مراكز تجارية أسهمت في نشر الإسلام في الداخل ثم تحولت إلى إمارات مستقلة بلغ عددها سبع إمارات، وهى: أوفات، هدية، فطجار، دارة، مالي أرابيني، شرخا.[١]

وقد تميزت هذه الإمارات، بأنها لم تكن مرتبطة، ولا يجمعها سوى الرباط الروحي فقط. وقد كان هناك تنافس شديد بين هذه الإمارات بعضها البعض، ونتيجة لهذا التنافس سقطوا فريسة للحبشة التى فرضت عليهم نفوذها فكان لا يمكن لأى أمير أن يتولى إلا بعد الحصول على موافقة الحطى.

وليس معنى هذا أن بلاد الزيلع قد استسلمت بسهولة للحبشة، ولكنهم مارسوا الاستقلال فترات كبيرة وكانوا أحيانا يغزون الحبشة، ومن أشهر هذه الإمارات إمارة أوفات.

وقد أسس إمارة أوفات مجموعة من قريش تسمى بنى عبد الدار، أو بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب. وكانت تعرف باسم جبرت، وكانت تتحكم في الطريق التجاري الذى يربط الداخل بميناء زيلع. ولم يظهر معالم تاريخ أوفات إلا بعد تولية عمر ولشمع في أواخر القرن

---

(١) المقريزى: الإلمام بما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة لجنة التأليف، مصر١٨٩٥ ص٨. وانظر رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإسلامية. ص٢٦٤.

الثالث عشر الميلادى عندما استطاع عور ولشمع من الاستيلاء على سلطنة شوا الإسلامية في عام (١٢٨٥م).

وقد نجحت سلطنة أوفات في مد نفوذها في مساحة تزيد على مساحة الحبشة، وحاصرت الحبشة من الشمال والغرب، مما أدى لحصار الحبشة. ولذلك نجد أنه من أولويات الأسرة السليمانية عندما تولت حكم الحبشة القضاء على سلطنة أوفات.

وقد بدأت أول مراحل الجهاد في أيام الملك الحبشي ياجبييا صهيون (١٢٨٥- ١٢٩٤م) حيث قام بحملة ضد إمارة عدل التابعة لأوفات، وقد كان من أسباب هزيمة عدل هو عدم وجود وحدة فعالة، بل من الأسف وجد مِنْ بين الإمارات مَنْ تعاون مع الأحباش في هجومهم على عدل، وأوفات.

وكان من الممكن القضاء على دولة أوفات لولا تدخل السلطان المملوكي الذى هدد بقطع العلاقات، وعدم إرسال مطران لبلاد الأحباش. حيث كان مطران الحبشة يعين من قبل البطريرك المصرى.

وقد بدأ المسلمون يقوُّن من أنفسهم، واستغلوا وفاة ملك الحبشة في عام (٦٩٨هـ/١٢٩٩م)، فقام شيخ مسلم اسمه محمد أبو عبد الله بحشد قبائل الجلا والصومال، وقاموا بغزو الحبشة. مما اضطر ملك الحبشة للتنازل لهم عن بعض الولايات الحدودية نظير الهدنة. وكان الملك الحبشي ودم أرعد من الضعف بحيث لم يستطع صد الهجوم.

وكان للنصر الذى حققته أوفات دافعا للقيام بغزو الحبشة مرة أخرى. فتقدم السلطان حق الدين إلى الأراضى الحبشية، وقام بغزو بعض

الولايات وأحرق الكنائس، وأجبر مجموعة من المسيحيين على اعتناق الإسلام، فقام ملك الحبشة بدوره بغزو أوفات عام (١٣٢٩م)، وهاجمها من جميع النواحي وفرق شملهم، وتم أسر حق الدين، ووضع ولاية أوفات فطجار في مملكة واحدة، وعين عليها صبر الدين شقيق حق الدين مقابل الاعتراف بالسيادة للأحباش.

وقد حاول صبر الدين الخروج من تبعية الأحباش، فكون حلفا إسلاميا من إمارتي هدية، ودوارو. وحاولوا غزو الحبشة، واستولوا على بعض الغنائم. ولكن ملك الحبشة هاجمهم منفردين، وبدأ بإمارة هدية، ونجح في تحطيمها، وأرغمها على الخروج من الحلف. ثم تقدم لأوفات ودخلها، وخربها، وتقدم إلى فطجار واستولى عليها هي وإمارة دوارو.

وقد حاول المسلمون بين عامي (١٣٢٨م-١٣٣٢م) الاستنجاد بدولة المماليك في مصر فأرسلوا سفارة برئاسة عبدالله الزيلعى، وطلبوا من السلطان الناصر بن قلاوون التدخل لدى السلطان لحماية المسلمين في الحبشة، فأرسل السلطان الناصر خطابا لبابا الإسكندرية يطلب منه أن يأمر ملك الحبشة بوقف القتال، ولكن ملك الحبشة لم يستجب، بل زاد من عنف المقاومة واستولى على إمارة عدل وأجبر الكل، على الخضوع له.

وقد انتابت إمارة أوفات بعض الفتن الداخلية التى مكنت حق الدين الثاني من الوصول للحكم، وأعلن استقلاله عن الحبشة ،ودخل في معارك مع الأحباش وانتصر عليهم ،ولكنه هزم ومات عام (١٣٨٦م) فنهض بالأمر من بعده أخوه سعد الدين الذى نجح في هزيمة الأحباش واستولى منهم على زمدوة وبالى، وتوغل في أرض أمحرة ، لكنه هزم في عدة

معارك ففر إلى جزيرة زيلع حيث حوصر، وقتل في عام (١٤٠٢م) نتيجةً لخيانة رجل دل الأحباش على مكانه.

وبعد احتلال الأحباش الزيلع انتهت سلطنة أوفات، وتفرق أبناء سعد الدين وهاجروا لشبه الجزيرة العربية ،ونزلوا في ضيافة ملك اليمن الناصر أحمد بن الأشرف الذى قدم لهم المساعدات لمواصلة الجهاد ضد الأحباش.

٣- سلطنة عدل الإسلامية(٨١٧-٩٨٥هـ/١٤١٤-١٥٧٧م):

"عدل" كان من الأقاليم التى خضعت لسلطنة أوفات، وقد آوى إليها بنو سعد الدين نظراً لقربها من بلاد اليمن وبعدها عن النفوذ الحبشى، وقد امتدت حدودها من ميناء زيلع وهرر.[١]

وقد استأنف سلاطين عدل الجهاد مرة ثانية ضد الأحباش، وخصوصا في عهد صبر الدين الثاني الذى اتخذ من مدينة دكر عاصمة له، وبعد وفاته خلفه أخوه منصور والذى قام بحشد جيش هاجم به الأحباش، واستطاع إيقاع الهزيمة بهم، ونتج عن هذه الحملة إسلام ما يقرب من عشرة آلاف.

وكان هذا النصر سببا في قيام إسحق بن داود بإعداد جيش لمحاربة منصور، وقد نجح في إيقاع الهزيمة بجيش منصور. وأُخِذَ منصور وأخاه إسيريين في عام (١٤٢٥م).

---

(١) المرجع السابق. ص٢٦٩. وانظر المقريزى: السلوك، ج٤، قسم٢، ص٦٤٩. انظر عرب فقيه: فتوح الحبشة، نشر رينيه ماسيه، باريس، بدون. ص٦-٧.

ولكن هذه الهزيمة لم تفتت عزم المسلمين. فقد قام أخو السلطان منصور واسمه جمال الدين بمحاربة ملك الحبشة، وانتصر جمال الدين في مواقع عديدة ولكنه قتل على يد أبناء عمومته في عام (١٤٢٢م).

وبعد مقتل جمال الدين، تولى من بعده أخوه شهاب الدين أحمد بدلاى الذى عاقب القتلة، وحارب الأحباش واستولى على إقليم بالى منهم، ولكنه تعرض للخيانة فاستشهد في معركة ضد الأحباش عام (١٤٤٤م)، وكان من نتائج هذه المعركة توسع الحبشة، وضمت أقاليم الزيلع السبع، وأصبحت الحبشة تمتد حتى سهول السودان شمالا. وعينت حاكماً على الإمارات السبع يسمى الجراد.

وقد استسلم أمراء عدل وخصوصا في عهد محمد بن بدلاى الثاني الذى تولى عام (١٤٤٥م)، حيث أعلن خضوعه للأحباش مقابل دفع جزية سنوية. ولكن هذه السياسة التى اتبعها محمد بن بدلاى جعلت أهالى عدل ينقسمون إلى فريقين، الفريق الأول يطلب المهادنة مع الأحباش ويمثله أفراد الأسرة الحاكمة، والفريق الآخر يدعو لمقاومة الأحباش ويمثله الأئمة الأمراء.

وكان أول هؤلاء الأئمة ظهورا هو الداعي عثمان حاكم زيلع الذى أعلن الجهاد بعد وفاة محمد بن بدلاى عام (١٤٧١م). ثم ظهر الإمام محفوظ في هرر، واشتبك مع الأحباش.

ولكن حدثت متغيرات دولية جعلت دفة الصراع تتجه اتجاهاً آخر وهو ظهور البرتغاليين على مسرح الأحداث، وأيضا ظهور الأتراك العثمانيين بالإضافة لاستخدام الأسلحة النارية في المعارك بين الزيلع

والأحباش، وإسلام بعض قبائل الأعفار والصومال، ودخولهم حركة الجهاد ضد الأحباش، وانضمامهم إلى أحمد القرين.

بدأ أحمد القرين حكمه في سلطنة "عدل" باتخاذ هرر قاعدةً له، واتبع سياسة قربت إليه الرعية، فقد طبق أحكام الشريعة الإسلامية، ووضع نظاماً مالياً طبقا لأحكام الشريعة فبدأ في توزيع أموال الزكاة على مستحقيها، وقسم أموال الغزو طبقا للشريعة، فكان يخرج الغنائم ويقسمها أخماساً ويصرفها في مصارفها الشرعية.

بالإضافة إلى أنه قضى على قطاع الطرق، وكان يلاطف الفقراء، ويعطف عليهم، وينصف المظلومين. وكان لهذه السياسة الحكيمة أثرها في التفاف الشعب حوله لدرجة أنهم أسموه إمام المسلمين.

وقد بدأ احمد القرين جهاده ضد الأحباش، وخاض سلسلة من المعارك استطاع من خلالها أن يستولى على دوارو، وشوا، وأمهرة، ولاستا في عام (١٥٣١م). وفى عام (١٥٣٣م) استعاد الإمارات القديمة مثل بالى، وهدية، وشرخة. وفى عام (١٥٣٥م) سيطر على إقليم تجرى،وأصبح جنوب ووسط الحبشة تحت السيطرة الإسلامية.

وقد استنجد الأحباش بالبرتغاليين في عام (١٥٣٥م). فأرسل لهم الملك البرتغالي نجدة في عام (١٥٤١م) استطاعت أن تحارب أحمد القرين في عدة مواقع عام (١٥٤٢م) استطاعوا في نهاية الأمر من القضاء على حركة أحمد القرين، ونجدة الحبشة من هزيمة محققة، ولكن حركة الجهاد استمرت في عام (١٥٥٩م) بقيادة أمير هرر نور، والذي لقب بلقب أمير المؤمنين، ولكن جهوده باءت بالفشل.

وكانت آخر المحاولات في الجهاد ضد الأحباش في عام (١٥٧٧م) حيث نشبت معركة انتهت بمقتل محمد الرابع، كما استطاع الأحباش القضاء على سلطة الأتراك الذين عقدوا معاهدة معهم في عام (١٥٨٩م)، واكتفى الأتراك بالبقاء في مصوع وسواكن.

وبعد استعراض أهم الدول التى ظهرت في الحبشة، ودورها في قيادة حركة الجهاد ضد الأحباش. يتبقى لنا البحث عن الأسباب التى أدت لدخولهم في صراع ضد الأحباش.

فالسبب الأول يعود إلى أن الدول الإسلامية قد توافر لديها مقومات الرقى والتقدم مما جعلهم يحسون بأنهم أقوى حضاريا من الحبشة؛ ولذا رفضوا الانصياع تحت حكم الأحباش، ورفضت سياسة التعاون معهم، بل تحدت الأحباش، وبادلتهم العدوان.

والسبب الثاني هو إحساس الأحباش بفقدهم السيطرة على التجارة؛ لأنها أصبحت في قبضة المسلمين، وكان من نتائج تحكم المسلمين في التجارة اختفاء بعض المدن الإثيوبية التى كانت مزدهرة بالتجارة مثل أكسوم التى فقدت نشاطها القديم بسبب احتكار المسلمين لتجارة البحر الأحمر.

والسبب الثالث في تزكية الصراع بين الممالك الإسلامية والحبشة هو خروج الحبشة من أزماتها الداخلية منتصرة، واستطاعت الأسرة السليمانية أن تعيد للحبشة وحدتها الداخلية كاملة، كما أن ظهور هذه الأسرة اقترن بمحاولة صبغ البلاد بالصبغة المسيحية والقيام بجهد لمحاولة نشر المسيحية بين جيرانهم.

وقد تزعم هذا الاتجاه القس الحبشي أوسيطاطيبواس الذى قاد حملة تبشيرية واسعة في غرب شوا، وبلاد داموت، وبنى العديد من الأديرة في شوا، وانتشرت في عهده الحركة الديرية. ثم بدأت الدولة التطلع إلى الإمارات الإسلامية التى حفت بها من الشمال والشرق والجنوب.

كما أن ظروف الحروب الصليبية وما فرضته من معطيات سياسية شجعت الأحباش على محاولة التعاون مع القوى الخارجية، والذي وجدت ترحيباً من الأوروبيين. وكان دير الأحباش في بيت المقدس بمثابة حلقة اتصال بين الأحباش والصليبين، ولكن متاعب الحبشة الداخلية، وفشل الحروب الصليبية جعلت هذا التعاون لم يأت بثماره المرجوة في القضاء على القوى الإسلامية في هضبة الحبشة.

وكأن القائمين على الحروب الصليبية لم يصبهم اليأس بعد فشل الحروب الصليبية واستيلاء خليل بن قلاوون على آخر معاقل الصليبين في عكا، في عام (١٢٩١م)، فأرسلوا الرحالة لكتابة التقارير عن الحبشة، ومحاولة الاتصال بالأحباش لإقامة حلف من الحبشة وأرمينيا والدولة البيزنطية . وكانت الحبشة تستجيب لهذا الصراع، ففي عهد إسحاق الأول (١٤١٤-١٤٢٩م) أراد الاشتراك في الحرب، وقد استدعى لذلك بعض المماليك لتنظيم شئون دولته. مثل الطنبغا والى قوص، الذى أسند إليه شئون الجيش، فدربه، وعلمهم صناعة الأسلحة. كما أوكل إسحاق شئون الدولة الإدارية لرجل مسيحي مصري اسمه فخر الدين، وقد حاول الأحباش أن يكونوا هم البادئين في خوض الحروب الصليبية، ولذلك

عندما سمعوا أن المماليك استولوا على قبرص في عام (١٤٢٧م)، وقبضوا على ملك قبرص جانوس بادر الأحباش بالاتصال بالدول الأوربية، للقيام بهجوم مشترك، وقد أدت الاتصالات إلى قيام ملك أرجون بتقديم أسطول على نفقته الخاصة، على أن يتزوج ملك الحبشة من الأميرة الأرجونية، ويتزوج ولى عهد البرتغال من أميرة إثيوبية، ولكن هذه المشروعات فشلت.

ثم زاد الصراع حدة بعد ظهور قوة البرتغاليين في منطقة البحر الأحمر، واكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، ودخلوا مجال الصراع في شرق إفريقيا عام (١٤٩٩م) مما كان له نتائجه السيئة على الإمارات الجنوبية، حيث تهددت بالخطر البحري أكثر من الإمارات الشمالية.

وقد كانت الاتصالات الحبشية البرتغالية غرضها الرئيسي مساعدة البرتغاليون للأحباش لأجل السيطرة على الإمارات الشمالية، وأيضا مساعدتهم في السيطرة على المناطق البحرية. وقد وضحت هذه الأهداف، في رد عمانويل ملك البرتغال في إطار رده على البابا في وقف الحملات حفاظا على صداقة المماليك. بأنه يرغب في حصار مكة، وأنه في حاجة لمساعدةٍ من الحبشة.

أما عن دور الدول الإسلامية، في مؤازرة مسلمى الحبشة فقد زادت المساعدات للمسلمين، ووجدوا تأييدا من كل الدول الإسلامية المحيطة بهم، وسنتحدث عن دور كل دولة من هذه الدول.

فبالنسبة لمصر كانت مصر تقدم كل المعونات لهذه الإمارات، وكانت مصر لها وسائلها الخاصة في تقديم الدعم لإمارات الحبشة

الإسلامية، حيث كانت تستخدم مسألة تعيين المطران المسيحي كورقة ضغط على الأحباش لإيقاف عدوانهم.

أما بالنسبة لليمن، فكان ملوك الدول الإسلامية في الحبشة يلجأون لملك اليمن للاحتماء به مثلما فعلت أسرة سلطان أوفات.

وقد كان للأتراك العثمانيين دورٌ في شد أزر المجاهدين، وقدموا مساعدات كبيرة للإمام أحمد بن إبراهيم، وقدموا مساعدات بحرية لمسلمي الجنوب.

الدول الإسلامية في الساحل الشرقي لإفريقيا

١- سلطنة مقدشو الإسلامية (٢٩٢-١٠٦٧هـ/٩٠٥-١٦٥٦م):

ظهرت هذه السلطنة في أراضى الصومال الحالية،ومعنى اسم الصومال مأخوذة من (سومااين نرسو ما)الذى كان يحكم الإقليم الممتد من زيلع إلى حفون، ويعتقد أهل الصومال أن الاسم (الصومال) هو الجد الأكبر للصوماليين.(١)

وينتمي الصوماليون للعنصر الكوشي الحامي، ويمتون بصلةٍ إلى قبائل الجلا، والدناكل. وقد اختلطوا بالعرب قبل الميلاد، وبالقبائل الزنجية. وقد أقبل العرب على هذه المناطق، وأقاموا مراكز تجارية، في مقدشو، وبراوة ،وقسمايو، وبات، وممبسة، ومالندى.

وقد أقام سلطنة مقدشو مجموعةٌ عربيةٌ من أبناء الحارث في عام (٢٩٢هـ/٩٠٣م)،على ساحل بنادر كما بنوا مدينة براوة ومدينة مركة. وقد أقام بنو الحارث دولة استمرت طوال العصور الوسطي حتى قدوم البرتغاليين.

وفى عهد أبناء الحارث أصبحت مقدشو مدينة هامة نتيجة فرض نفوذهم على المناطق الساحلية، وعملهم باستخراج الذهب الذى در عليهم

---

(١) رجب محمد عبدا لحليم: مرجع سبق ذكره. ص٣٨٢-٣٨٣. وانظر أيضا رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، مسقط، عمان ١٩٨٩. ص٢١٧. وانظر ابن بطوطة: الرحلة، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٦. ص١٠٧.

أموالا كثيرة. استفادوا منها في تطوير مدينة مقدشو، فحلت المساكن المبنية من الأحجار محل المباني الطينية.

ونظرا لطول فترة حكم الأسرة الحارثية، فقد تم تعريب القبائل الصومالية، وخصوصا التى تعيش على الساحل، والتي ارتبطت مع السلطنة تجاريا مثل قبيلة الأجران، والتي كانت تقيم في الأراضى الواقعة بين نهر جوبا وشيلة . كما ترتب على ذلك انتشار الإسلام وبناء المساجد، وهناك مساجد تعود إلى عام (٦٣٧هـ/١٢٣٩م).

وقد استمر ازدهار مقدشو حتى القرن الرابع عشر. واستمرت لها السيادة على ساحل بنادر وإقليم الصومال حتى القرن السادس عشر الميلاى، ولكنها تعرضت للخطر البرتغالي عندما ضربها فاسكوا دي جاما بالمدافع عام (١٤٩٨م) ثم استولى البرتغاليون على براوة في عام (١٥٠٧م)، كما حاول البرتغاليون الاستيلاء على مقدشو ولكنهم فشلوا، واستمرت محاولات البرتغاليين للاستيلاء على مقدشو، ولكنها كانت تبوء بالفشل، فاستنجد الصوماليون بسلطان عمان الذى قام بإرسال أسطول في عام (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) استطاع إبعاد الخطر البرتغالي ودخل في حلف مع مقدشو استمر حتى القرن التاسع عشر.

وقد زار الرحالة العرب سلطنة مقدشو، ووصفوا ما شاهدوه من رقى السلطنة، فقد كتب ابن بطوطة عن السلطنة ووصف الحياة فيها، وحدثنا عن سلطانها الشيخ أبو بكر بن الشيخ عمر واصفاً مواكبه، وطريقة جلوسه في المشور، ومواكب خروجه وما يصاحبها من طقوس،

حيث ذكر أن الملك عند خروجه للصلاة، ترفع فوق رأسه مظلات من الحرير الملون، وعلى كل مظلة طائر مصنوع من الذهب الخالص.

كما وصف ابن بطوطة الازدهار التجاري في السلطنة، وتحدث عن طبقة التجار الغنية، وتحدث أيضا عن طريقة صناعة الملابس الجميلة التى كانت تصدر لمصر وغيرها من البلاد.

ثم تحدث عن كيفية استقبال أهالى البلد للتجار، حيث يركب شباب البلد المراكب، ويحمل كل واحد طبقا به طعام، ويقدمه للتاجر ويقول له أنه نزيله. فينزل التاجر مع الشاب إلى داره، ويعاونه الشاب في عملية البيع والشراء.

٣- سلطنة كلوة الإسلامية (٣٦٥-٩١١هـ/٩٧٥-١٥٠٥م):

أسس هذه السلطنة أسرة من فارس من إقليم شيراز، وكان رأس هذه الأسرة اسمه على بن حسن بن على وأبناؤه الستة، وقد قدم البلاد بغرض التجارة ثم استقروا في كلوة على الساحل الشرقي لإفريقيا فى عام (٣٦٥هـ/٩٧٥م) ووفد عليهم كثير من العرب الذين يفضلون العيش في الجزر حماية لهم من أهل البلاد وعند موت على بن حسن بن على الشيرازي كانت الدولة امتدت حتى سوفالة جنوبا، وإلى وممبسة في الشمال. وبعد وفاة على اعتدى الأهالى على ابنه فهرب إلى زنجبار فى عام (١٠٢٠)م.[١]

---

(١) مجهول السلوة في أخبار كلوة، وزارة التراث، عمان ١٩٨٥. ص٣٣. وانظر رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإفريقية. ص٢٨٧.

وبعدها بفترة جمع الابن جيشا وعاد إلى كلوة مرة ثانية. وقد ازدهرت المدينة نتيجة استخراج الذهب الذى كان يصدر من سوفالة جنوب نهر الزمبيزى مما أدى لحرمان سلطنة مقدشو من هذا المورد الهام، وخصوصا في عهد السلطان داود بن سليمان سلطان كلوة، وقد قام سلاطين كلوة بسك النقود.

وقد استطاعت سلطنة كلوة تأسيس حضارة على النمط الفارسي، فانتشر بها فن البناء الفارسي، والذي ظهر في البناء بالأحجار، واستخدام الجير والأسمنت في البناء، والنقش على الخشب ونسج القطن، وقد شيدوا العديد من المساجد الجميلة الطراز.

وقد كان لسلاطين كلوة إسهام في الحضارة، فقربوا إليهم العلماء، والأشراف، وأدخلوا العلوم الإسلامية إلى كلوة، وما تبعها من إنشاء المدارس. كما أسهموا بدورهم في حركة الجهاد ضد القبائل الوثنية، وكان السلاطين يأخذون أموال الغنائم ويقسمونها طبقا لأحكام الشرع.

وقد اشتهر سلاطين كلوة بالكرم، فقد روى ابن بطوطة عن حادثةً وهى أنه شاهد أحد فقراء اليمن يطلب من السلطان إعطاءه ملابساً، فما كان من السلطان إلا أنه قام بخلع ملابسه وأعطاها لهذا الفقير.

وقد زار كثير من الرحالة العرب سلطنة كلوة ووصفوا الحياة بها من أمثال المسعودي، والإدريسى، وابن بطوطة الذى حدثنا عن أسرة عربية أن الحكم قد انتقل إليها من الفرس، وأن السلطان هو أبو المظفر حسن الذى في عهده كثرت الهجرات العربية عام (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، والتي ترتب عليها انتشار اللغة العربية وليست اللغة الفارسية، ودخل

البلاد أحكام المذهب الشافعي السني بدلا من المذهب الشيعي، الذى كان سائدا أيام الأسرة الشيرازية.

ولكن في منتصف القرن الرابع عشر، تعرضت سلطنة كلوة، لبعض الاضطرابات الداخلية، وبدأت بات تتوسع على حساب كلوة خصوصا بعد انتقال تجارة الذهب إليها، وفرضت نفوذها على الساحل الشرقي الإفريقى بالإضافة لتمرد سوفالة واستقلالها عن كلوة، ونزوح كثير من العرب الذين تولوا المناصب في كلوة.

كل هذه الأسباب جعلت البلاد عرضة للخطر البرتغالي الذى احتل كلوة في عام (١٥٠٥م)، واستمر يحكمها حتى أواخر القرن السابع عشر عندما تمكن العمانيون من القضاء على الخطر البرتغالي، وأصبحت كلوة تحت سيطرة عمان حتى انفصلت عنها في عام (١٨٥٦م) بعد انفصال إمبراطورية عمان الإفريقية عنها في عام (١٨٥٦م) وآلت إلى سلطان زنجبار العماني، ثم آلت إلى الاستعمار الألمانى في عام (١٨٨٥م)، وفى عام (١٩١٩م) انضمت إلى تنزانيا.

٣- سلطنة بات النبهانية (٦٠٠-١٢٧٨هـ/١٢٠٣-١٨٦١م):

كَوَّن هذه السلطنة أسرة مهاجرة من عمان وفدت لساحل شرق إفريقيا في أوائل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادى. والنباهنة قوم من العتيك من الأزد في عمان استولوا على الحكم في عمان أثناء فترة الفوضى التى قسمت العمانيين إلى قسمين فحكم النباهنة عمان

حوالي خمسمائة عام، واستمرت حتى نهاية القـرن العاشـر الهجـري، عندما حكم اليعاربة عمان في عام (١٠٢٤هـ/١٦١٥م).[١]

وقد قام سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى بالهجرة إلى الساحل الإفريقى الشرقي في عام (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، واستقر في مدينـة بـات والتي تقع في أرخبيل لامو، ونتيجة للمصاهرة بين سليمان الذى تـزوج أميرة سواحيلية ابنة حاكم بات المدعو إسحاق ورث الحكم؛ فنقل بلاطـه من عمان لشرق إفريقيا.

وقد توسعت الدولة في عهد أبنائه، ففي عهد السلطان محمد الثاني ابن أحمد (٦٩٠-٧٣٢هـ/١٢٩١-١٣٣١م) توسع شمالا وضم كل المدن الساحلية حتى مقدشو، وعين على كل مدينة حاكم خاضع له، ولم يستطع إخضاع مقدشو.

وقد توسعت الدولة جنوبا في عهد ابنـه السـلطان عمـر الأول (٧٣٢-٧٦٠هـ/١٣٣١-١٣٥٨م) فحارب المدن الساحلية مثـل كلـوة، ووصل حتى جزيرة كيرمبا، وخضعت له كل المنـاطق عـدا جزيـرة زنجبار التى لم تكن تمثل قيمة بالنسبة لـه، ودخـل مدينـة وممبسـة، والمستوطنات القريبة منها.

وكان والنباهنة يعينون في كل مدينة حاكماً خاضعاً لهـم يسـمى ماجومب وكان مقر الحكم في العاصمة يسمى دار الشورى، وكان لقـب السلطان هو بوانا فومادى، ومعناه ملك أو سلطان باللغة السواحيلية.

---

(١) رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإفريقية، ج٢. ص ٢٨٩. وانظر حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره. ص٤٣٤.

أما عن النظم المالية فقد نظمت الضرائب طبقا للإنتاج، حيث فرضت ضريبة أشبه بالعشور في الشريعة الإسلامية، كما انتشرت الزراعة في عهدهم انتشارا كبيرا، وكانت أشهر المحاصيل هي القرنفل وقصب السكر، واهتموا بتربية الماشية والأغنام، كما أدخلوا تربية الأبل.

وقد نشطت التجارة في عهدهم بدرجة ملحوظة، وكان التعامل التجاري يتم مع مصر والشام والعراق، والبلدان المطلة على المحيط الهندي، وقد ترتب على ثراء هذه البلاد نهضة علمية وحضارية كبيرة.

ففي مجال العمارة بنوا البيوت المزدانة بمصابيح نحاسية، وصنعوا سلالم من الفضة، وزينوا أعمدة المنازل بمسامير فضة كبيرة، ومسامير من الذهب في أعلى الأعمدة. كما أدخل العرب الفسيفساء، وفن النقش على الحجر، والحفر، والنحت.

وقد ظهرت في عهد الدواة النبهانية اللغة السواحيلية التى نشأت نتيجة للتزاوج بين العرب والبانتو الزنوج، وكان سبب نشأتها حاجة الأزواج العرب لبعض الكلمات الزنجية للتفاهم مع الآخرين، ووجود بعد ذلك جنس مولد من عرب وزنوج أدى لانتشار اللغة السواحيلية.

وقد نتج عن استخدام اللغة السواحيلية عدة نتائج هامة منها. أنها أصبحت لغة قومية وحدت بين السكان على اختلاف أجناسهم في المنطقة الممتدة من الساحل إلى بحيرة نياسا، حتى المدن الداخلية التى تقع على بحيرة تنجانيقا. كما أدت هذه اللغة إلى ظهور ثقافة مشتركة هي الثقافة السواحيلية، وهى ثقافة غلب عليها الطابع العربي، وكانت تكتب بحروف عربية.

وتحتوى اللغة السواحيلية على العديد من الألفاظ العربية قــدرت بحوالى عشرون بالمائة في لغة التخاطب، وحوالي ثلاثين بالمائــة فــي السواحيلية المكتوبة وخمسين بالمائة في لغة الشعر،وتكون تــراث كبيــر من اللغة السواحيلية في النثر والشعر.

وقد اعتنق الشعب السواحيلى الإسلام، وتشــرب مــن العــادات والتقاليد العربية، وقد دعم سلاطين الأسرة النبهانية هذه الثقافــة بنشــر التعليم الديني في الكتاتيب والمساجد، التى أقبل عليهــا الأفارقــة لحفــظ القرآن الكريم، مما كان له الأثر في اندماجهم في المجتمع الإسلامى.

وقد انتهت الدولة النبهانية مثل مثيلاتها عندما تعرضت لضــربات من البرتغاليين، وحتى تمكنت عمان في النهاية من القضاء على الخطــر البرتغالي وسيطرت على الدولة النبهانية. حتى احتلها الإنجليز في نهايــة القرن التاسع عشر وأصبح اسمها الجديد كينيا.

الإسلام في الجزر الإفريقية والمناطق الداخلية

انتشر الإسلام في المناطق الداخلية في كينيا التى كانت تسمى بات، ويقدر عدد المسلمين فيها حوالي خمسين بالمائة. ويسكن المسلمون في المناطق الساحلية في وممبسة، ولامو، ومالندى، ويسكنون في الوسط في نيروبي، ونيري، وفى غرب كينيا في نيانزا.

أما أوغندا، فيبلغ عدد المسلمين بها حوالي ربع السكان والباقي وثنيون. ويعيش المسلمون في الغرب. وقد دخل الإسلام إلى أوغندا عبر السواحل الشرقية نتيجة حركة التجارة والتجار، والتي كانت تلقى تشجيعاً من ملوك أوغندا للتجار العرب والسماح لهم بالإقامة. والمذهب الشافعي هو الذى يسود في أوغندا.[١]

ومن المناطق التى انتشر فيها الإسلام تنزانيا، وقد ساعد انتشار وسائل المواصلات الحديثة على انتشار الإسلام حتى وصل إلى منطقة البحيرات. وامتد شمالا من وسمارا، حتى منطقة جبل كليمنجارو، وبلغ عدد المسلمين في عام (١٩٤٥م) حوالي نصف عدد السكان.

ومن المعروف أن تنزانيا شهدت ظهور سلطنة إسلامية وهى سلطنة كلوة وقد زاد الطابع الإسلامى بعد انضمام زنجبار إليها، وتكوَّن اتحاد عرف باسم تنزانيا التى يبلغ عدد المسلمين فيها حوالي سبعين بالمائة من عدد السكان.

---

(١) رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإفريقية، ج٢. ص٢٩٧.

ولو تحدثنا عن مالاوي نجد أن قبيلة ياو هي التى نشرت الإسلام في مالاوي، وقد نمت الحركة الإسلامية في غرب البلاد، وقد كتب الحاكم البريطاني في تقريره أن كل قرية في مالاوي تحتوى على مسجد.

أما عن جزيرة مدغشقر، والتي تعرف باسم ملاجاش فقد عرفها العرب منذ القرن التاسع الميلادي. واختلط السكان الأصليون بالعرب الذين هاجروا من زنجبار، وجزر القمر. وقد اعتنقت بعض القبائل الملجاشية الإسلام في الساحل الشمالي الغربي، والجنوب الغربي من الجزيرة.

ويقدر عدد المسلمين بحوالى عشرون بالمائة من عدد السكان، وكانت مدغشقر مقرا لسلطنة عربية تسمى مسلج، وقد أشار إليها المسعودي والإدريسى اللذان ذكرا أن أهلها مسلمون، ويتوارث حكمها ملوك من المسلمين.(١)

وتبدو المظاهر الإسلامية واضحة في مدغشقر قبل وصول الأوربين إليها في كثرة عدد المساجد وإقامة الشعائر لدرجة أن قبيلة الساكلافا يصوم كل أفرادها المسلمين والمسيحيين والوثنيِّن شهر رمضان على اعتبار أنه من العادات الموروثة. وأنهم لا يأكلون لحم الخنزير، ولا تزال أسماء زعمائهم إسلامية، والجميع لديه عادة الختان لا يستثنى منها مسلم أو مسيحي. ومازالوا عند عقد الزواج يتلون آيات القرآن الكريم

---

(١) المرجع السابق. ٢٩٩: ٣٠٠.

على اعتبار أنه من العادات الموروثة. ومـــازال أهـــالى ثغـــر ماجنقـــا يتحدثون اللغة العربية، ويعتقدون أنهم عرب.

وبالنسبة لجزر القمر، والتي تقع شمال مدغشـــقر. فيبلـــغ عـــدد المسلمين فيها حوالي خمس وتسعون بالمائة من عدد السكان، والخمســـة بالمائة الباقية مسيحيون من أصل فرنسي أو من جزيرة مدغشقر، ويتبـــع المسلمون في جزر القمر أحكام المذهب الشافعي.

وقد اعتنق سكان جزر القمر الإسلام في القرن العاشر الميلادي. كما تعرضوا لغزو من أمراء كلوة في القرن الحادي عشر الميلادي، ثـــم تعرضوا للغزو البرتغالي ولكنهم ثاروا عليه.

وتنتشر الطرق الصوفية بكثرة في جزر القمر، ومن أشهر الطرق هناك الطريقة النقشبندية، والطريقة القادرية. وأهل هذه الجزر متمســـكين بعقيدتهم الإسلامية. ويبلغ عدد المساجد هناك إلى حوالي (٦٧٠) مســـجدا في القرى والمدن.

كما ينتشر عندهم التعليم الديني في الكتاتيب والمدارس التى تعلـــم اللغة العربية والدين، ولغة التخاطب الرسمية هي اللغة العربية. أما اللغة السواحيلية فهي لغة التجارة.

ويتبقى لنا في الحديث عن الدول الإسلامية فـــي منطقـــة شـــرق إفريقيا، الحديث عن دولة زنجبار، وهى من المراكز التجارية الهامة التى انتشر فيها الإسلام بصورة كبيرة.

وقد عرف العرب طريقهم إلى زنجبار قبل الإسلام بفترة طويلـــة، واستمر ترددهم عليها ثم زاد التواجد العربـــي بعـــد ظهـــور الإســـلام،

وخصوصا بعد النزاع على الخلافة الإسلامية، فاستمر التواجد العربي، وأصبح سمة غالبة على سكان الجزيرة.

وقد خضعت زنجبار لحكم سلاطين كلوة فترة من الزمن، ثم حكمها البرتغاليون منذ عام (١٥٠٣م)، وقاموا بتشييد الكنائس بها، وقضوا على حكم دولة الزنج التي سيطرت على البلاد فترة كبيرة.

وقد ظل التواجد البرتغالي في جزيرة زنجبار حتى ازدهرت عمان، واستطاعت القضاء على النفوذ البرتغالي، فانتقل حكم زنجبار إلى عمان، وأصبح جزء من سلطنة عمان.(١)

وقد نقل السلطان سعيد بن سلطان مقر حكمه إليها في عام (١٨٩٠م). وقد كان يأمل في مد نفوذه إلى الداخل بعد أن سيطر على الساحل من رأس جردفون شمالا حتى خليج دلجادو جنوبا.

وكان من نتائج التوسع في عهد السلطان سعيد امتداد طرق التجارة إلى أبعد مدى ممكن أن تصل إليه، فوصلت حتى قلب القارة إلى منطقة البحيرات، مثل بحيرة نياسا، وبحيرة تنجانيقا، وفيكتوريا، ونتيجة لطول الرحلة فقد أقيمت محطات تجارية اعتبرت امتدادا للنفوذ العربي ممثلا في أسرة البوسعيد. وكان العرب القادمون معظمهم من عرب عمان.

وقد وضع سلطان زنجبار نظما لإنعاش الحياة الاقتصادية تمثلت هذه النظم في عدم فرض مكوس عالية على البضائع، مع تشجيع

---

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره. ص٩٥. وانظر رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإفريقية. ص٢٩٩.

الزراعة، وخصوصا زراعة القرنفل وقصب السكر في جزيرتي بمبا وزنجبار المشهورتين بخصوبة الأرض لدرجة أن الجزيرتين احتكرا ما يقرب من تسعين بالمائة من الإنتاج العالمي حتى اليوم.[١]

أما عن النظم الإدارية التى وضعها سلاطين زنجبار، فقد كانت تعتمد على تعيين حكام محليين من أهل البلاد يدينون لهم بالطاعة والولاء، وأحيانا يكون الحكام من العرب و السواحيلية، ويمدونهم بجند يجعلون من مسئولية الحكام تنمية هؤلاء الجند، وعدم وضع حاميات عسكرية قوية آملين أن المصالح الاقتصادية تساعد على انتشار السلام.

وقد تزايد عدد السكان العرب في زنجبار، وخصوصا في موسم الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، حيث كانت البلاد تمتلئ بالتجار العرب. وكان ينتج عن ذلك رواج اقتصادي، وتشهد البلاد ازدهارا تجاريا.

وكان العرب في زنجبار يمثلون طبقة أرستقراطية حيث كانوا يمتلكون الأراضى الزراعية، وكانت هي السياسة التى يريدها السلطان سعيد الذى أخذ معه كل الأغنياء من شبه الجزيرة العربية عند قدومه لزنجبار.

وقد انقسم العرب في زنجبار إلى عرب الحضارمة، وقد وفدوا من منطقة الجنوب في شبه الجزيرة العربية، وكانوا يسكنون في أحياء خاصة بهم ،ويمثلون أرستقراطية هامة في البلاد. وكان منهم من يقيم

---

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص٢٠٧.

إقامة دائمة ، ومنهم من ياتى للتجارة. وقد عمل هؤلاء في عمليات النقل البحري في شرق إفريقيا. أما القسم الثاني من العرب فهم الذين قدموا من جزر القمر، ولا يعرف على التحديد أصولهم فهم إما عرب اختلطوا بالأفارقة، أو اختلطوا بالفرس. أما القسم الثالث فهم عرب الساحل الشرقي لإفريقيا ،وهم العرب الذين سكنوا في الساحل قبل ظهور السلطنة. والقسم الأخير هم عرب عمان الذين قدموا الجزيرة مع السلطان سعيد.[١]

وقد كانت سيطرة سلاطين البوسعيد على جزيرة مدغشقر ضعيفة، مما شجع الدول الاستعمارية لفرض نفوذهم. وقد حاول كثير من سلاطين زنجبار تقوية نفوذهم مثل محاولة السلطان السيد سعيد في عام (١٨٣٢م) الزواج من ملكة مدغشقر، ولكن اصطدم بالنفوذ الفرنسي والذي منعه من التوسع جنوبا وإن كان قد نجح في التوسع شمالا.

وقد نجح السلطان سعيد في ربط موانئ الصومال الشمالي بالنظام الاقتصادي الذى اتبعه وكان هدفه الأساسى الذى حرص على المحافظة عليه؛ لذلك كان يلجأ للأساليب السلمية في معالجة مشاكله التى واجهها.

وقد حرص سلاطين زنجبار على ربط الاقتصاد الداخلي بالاقتصاد الخارجي عن طريق معاهدات واتفاقيات وقعت بين السلطنة وانجلترا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبعض الولايات الألمانية.

---

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره.

وقد ترتب على تسامح السلاطين مع العناصر الأجنبية زيادة عدد البعثات التبشيرية، والرحلات الاستكشافية. ومن أشهر البعثات بعثة كرايف، وريمان اللذان استقرا في بعض الأقاليم التابعة لزنجبار للتبشير بالمسيحية، وقد كان هؤلاء المبشرين يتلقون كل مساعدة من السلطان البوسعيد بحجة أنهم يدعون الوثنيين إلى معرفة الله على نحو ما ذكر كرايف في مذكراته. وقد أقام كرايف عدة أشهر وأخذ يتجول في البلاد إلى لامو وبلاد الجلا حيث أنشا هناك مركزاً تبشيريًا، ولكنه لم يستمر طويلا حيث تعرض لخطر الموت، وقد قام الفرنسيون بإنشاء مدرستين ومستشفى لتعليم الأفارقة الدين المسيحي. كما قامت انجلترا أيضا بنفس الدور، حيث أرسلوا بعثات تبشيرية مارست نفوذها في المنطقة.

ولم تتوقف جهود سلاطين زنجبار على تشجيع المبشرين فقط، بل تعدتها إلى تشجيع رحلات الكشوف الجغرافيا داخل القارة، والذين وجدوا العون من المراكز التجارية العربية الداخلية، وقد أشاد هؤلاء المستكشفين بما رأوه من المساعدات.

وقد ترتب على وجود هذه البعثات الأوربية خطر هدد دولة البوسعيد تمثل في ضياع حلم السيد سعيد في تكوين إمبراطورية عربية في إفريقيا، والتي كرس كل جهوده من أجلها لدرجة إهماله ما يدور في مملكته الآسيوية والتي كاد يفقدها.

وقد توافرت عدة عوامل جعلت السلطان السيد سعيد لا يستطيع تحقيق أحلامه، وهذه العوامل هي تفوق أوربا سياسيا وعسكريا وصناعيا. وأيضا قدوم آلاف من المبشرين والمستكشفين الذين كتبوا

تقاريرهم إلى حكوماتهم يبينون فيها الأماكن الصالحة في إفريقيا للاستغلال.

سلطنة زنجبار والتوسع المصري:

لقد صادف توسع سلطنة زنجبار في إفريقيا التوسع المصري في السودان والبحر الأحمر فى عهد إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م). وقد ترتب على ذلك ظهور إمبراطوريتين عربيتين، وكان من المتوقع أن تسهم الدولتان في رقى الحياة الإفريقية، وإنقاذ الأفارقة من تربص الأوربيين بها؛ ولذلك اتحدت جهود الأوربيين في محاولة منع مد نفوذ الدولتين المصرية والزنجبارية، ومنع التعاون بينهما. وعلى ذلك بدا الاستعمار يضع خططه.[١]

فاستغل الإنجليز وفاة السلطان السيد سعيد في عام (١٨٥٢م)، وأخرجت إحدى رسائله التى يوصى فيها بتقسيم السلطنة في عمان وزنجبار بين أكبر أبنائه، وكان يقصد في الحقيقة وضع إدارة لكل إقليم. ولكن الإنجليز في الهند قرروا فصل الدولتين نتيجة لما تمثله من تهديد للمصالح الإنجليزية، ورغبة من انجلترا في تأمين مواصلاتها في الهند.

فأوفد الإنجليز في عام (١٨٦١م) لجنة للتحقيق إلى كل من عمان وزنجبار. وأوصت اللجنة بتقسيم الإمبراطورية، فأصدر اللورد كاننج نائب الملك في الهند قراره بتقسيم إمبراطورية زنجبار إلى قسمين، وهما

---

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص٢١٨.

عمان، وزنجبار مقابل أن يدفع سلطان زنجبار مبلغا سنويا من المال لأخيه تعويضاً للفرق بين موارد الإقليمين.

وفي عام (١٨٧٣م) عقدت بريطانيا معاهدة مع السيد برغش بن سعيد سلطان زنجبار بإلغاء تجارة الرقيق. ونظرا لما كانت تدره تجارة الرقيق من أرباح على سلطنة زنجبار. فقد أعفت بريطانيا زنجبار من دفع المبلغ السنوي لعمان مقابل تعهد بريطانيا بدفع المال لعمان، وبذلك استطاعت بريطانيا السيطرة على عمان بدفع الأموال لها، والسيطرة على زنجبار بعد أن أصبح سلطانها يلجأ لطلب مساعدة الإنجليز لوقف محاولات عمان ضم زنجبار.[1]

ولم يتوقف الأمر عند مجرد محاولات انجلترا فصل الإمبراطوريتين فقط، بل تعداه إلى التغلغل داخل إفريقيا، فعقدت انجلترا وألمانيا معاهدة في عام (١٨٨٦م) نصت على تشكيل لجنة لتقسيم المقاطعات الداخلية من سلطنة زنجبار فيما بينهما.

وكان السبب الداعي لعقد هذه الاتفاقية وقيام جماعة من التجار الألمان بتأسيس شركة شرق إفريقيا الألمانية، والتي نجحت في عقد اتفاقيات تجارية بلغ عددها ما يقرب من اثني عشر اتفاقية. استطاع خلالها الألمان من التوغل في الداخل نظرا لضعف السلطنة وعدم تحكمها في أجزائها الداخلية.

---

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص٢١٦-٢١٧.

وكان قرار اللجنة الألمانية الإنجليزية ينص على أن حدود زنجبار تقتصر فقط على جزيرتي بمبا وزنجبار وبعض الجزر الصغيرة، بالإضافة لشريط ساحلي يمتد لمسافة عشرة أميال، ولا يمتد في الداخل أكثر من ثلاثمائة ميل، والباقي لا يتبع سلطنة زنجبار، وقد قسم كمناطق نفوذ بين الإنجليز والألمان.

وقد نالت زنجبار استقلالها في عام (١٩٦٣م) وانضمت مع تنجانيقا في اتحاد تنزانيا، ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي تسعون بالمائة من عدد السكان، وينقسم المسلمون في زنجبار إلى سنة و شيعة إسماعيلية وإباضية.

وتوجد في مدينة زنجبار وبمبا محكمة شرعية بها قاضيان أحدهما سني والآخر إباضي. كما تكثر المساجد هناك، ولكل طائفة مساجدها الخاصة. وأيضا مدارسهم و كتاتيبهم. ولكل طائفة هناك جمعيات لترعى شئونها.

أما أغلب المسلمين السنة في زنجبار من أتباع المذهب الشافعي. ويتحدث الكل اللغة السواحيلية.[١]

---

(١) رجب محمد عبدا لحليم: الموسوعة الإفريقية. ج٢. ص٢٩٩.

الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا وبلاد الحبشة

شهدت بلاد شرق إفريقيا ظهور ثقافة إسلامية شملت جميع نواحي الحياة سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية. وقد وجدت الثقافة الإسلامية تربة خصبة ومهيأة لاستقبال هذه الثقافة. بالإضافة لوجود عوامل ساعدت على انتشار هذه الثقافة مثل عدم وجود ثقافات لدى هذه الشعوب قبل التواجد العربي نتيجة عزلتهم التى فرضتها عليهم الظروف الجغرافية أو البشرية.

خصائص الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا:

اختلفت الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا عن الإمارات الإسلامية في الحبشة في التوجه الاجتماعي والثقافي. فإمارات شرق إفريقيا توافر لها عنصر الأمن، فلم تجد دولة مسيحية تقف لها بالمرصاد مثلما فعلت الحبشة مع الإمارات الإسلامية الواقعة في أراضيها حتى في الفترات التى شهدت هجوم صليبي عليها جاءها من البحر ممثلا في البرتغاليين.

كما أن عمل أهل هذه البلاد بالتجارة أفرز وجود تفاوت طبقي في المجتمع نتيجة تداول الثروة مما حتم على المجتمع التعاون لتحقيق أهدافه، وكانت أبر طبقات المجتمع هي طبقة الأرستقراطية العربية الحاكمة، وهى صاحبة الكلمة العليا في البلاد. والطبقة الثانية هي طبقة الهنود المهاجرين، وكانوا يمتلكون السفن واشتهروا بالمهارة في الأعمال المالية. والطبقة الثالثة هي طبقة السكان المخلطين من عرب وزنوج

بانتو، وكانت تتكلم اللغة السواحيلية. أما الطبقة الرابعة والأخيرة فهم طبقة العبيد الذين كانوا يشترون بالمال، ويقومون بالإعمال اليدوية في المزارع والمصانع والمتاجر. وقد جمع بين هذه الطبقات حب التعاون بدون قيام صراع طبقي كما كان يحدث في المجتمعات الأخرى التى شهدت ظهور طبقات عديدة.

أما الممالك الإسلامية الحبشية، فقد دخلت في صراع منتظم ضد الأحباش المتعصبين، مما ساهم في إضعاف هذه الإمارات. وعلى الرغم من ذلك ظهرت بها مقومات ثقافية تفوقوا بها على الأحباش، وكانت سببا من أسباب الصراع بينهم و بين الأحباش.

وسيقتصر حديثنا في المجال الثقافي على اللغة السواحيلية، والأثر الإسلامى في بلاد الزيلع ،مع موجز عن ملامح الثقافة الإسلامية في الحبشة.

أولا: اللغة السواحيلية:

تعتبر اللغة السواحيلية هي اللغة الرسمية لبلاد الساحل الشرقي الإفريقى، وتسمى(أوكى سواحيلي) فرع من لغات البانتو، وتحتوى على مفردات عربية، وبرتغالية، وإنجليزية. وتعتبر من اللغات المتداولة في العالم.

وتتميز اللغة السواحيلية بأن نهاية الكلمات تشبه في النطق اللغة الإيطالية وقد استعارت الحروف الحلقية من اللغة العربية. ويعتبر سكان وممبسة هم أصحاب اللغة الأصليين. وقد انتشرت السواحيلية تجاه الجنوب، وعلى الساحل الإفريقى الشرقي، وفى الجزر حتى موزمبيق،

وكان من نتيجة ذلك اختلاطها بكلمات برتغالية، وفارسية، وعربية، وهندية. أما في جزيرة زنجبار فقد دخلتها ألفاظ عربية كثيرة.

واللغة السواحيلية خلفت من ورائها آداباً كثيرة. فقد ترجمت إليها التوراة، والكتب المسيحية، ونشرت بها العديد من الرسائل، والأمثال، والقصص الدارجة، والأشعار، وتعتبر لغة المعاملات والتجارة.(١)

وتنتشر اللغة السواحيلية حاليا في بعض جهات أوغندة، وفي أجزاء من جنوب السودان، وحوض الكونغو، وتنجانيقا.

ثانيا: الثقافة العربية في بلاد الزيلع:

لقد كان من نتيجة احتكاك بلاد الزيلع بالعالم الإسلامى انتشار الثقافة العربية انتشارا كبيرا، فقد نزحت إليها جميع الفرق والمذاهب التى عرفها العالم الإسلامى مثل الشيعة الزيدية، والخوارج الإباضية، نتيجة تنوع الوافدين إلى هذه المنطقة.

وقد كان لعلماء اليمن وفقهائها نصيب الأسد في نشر الثقافة الإسلامية في هذه البلاد. نظرا لقرب اليمن من هذه البلاد ،وقد قام هؤلاء العلماء بتحريض، المسلمين على الجهاد ضد الحبشة. ولعبوا هذا الدور بالتحديد في سلطنة عدل، وفى هرر.

وكان لسكان بلاد الزيلع صلات ثقافية كبيرة بمصر. فكان الطلبة يأتون للتعلم في الأزهر الشريف، وقد خصص لهم الأزهر أروقة ليتعلموا فيها مثل رواق الجبرت.

---

(١) حسن إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره. ص١٦٣-١٦٤.

وقد برز من هذه المنطقة علماء كثيرون قدموا مصر للتعلم. من أمثال الشيخ الإمام الزيلعي فخر الدين عثمان بن على شارح "الكنز"، المتوفى عام (٧٤٢هـ/١٣٤٢م). والمحدث الزيلعي جمال الدين بن عبدالله بن يوسف بن محمد. وكان مقربا من السلطان قايتباى. وقد توفى عام (٨٩٩هـ/١٤٣٩م).[١]

ثالثا: الحبشة:

يعتبر المذهب السني هو السائد في الحبشة، وخصوصا في هرر، والتيار الثاني السائد هو الطرق الصوفية. ولكل طريقة صوفية أولياؤها، وأماكن عبادتها، ومدارسها.[٢]

ومذهب السنة يقوم على تطبيقه القضاة وأئمة المساجد، والطلبة الذين تعلموا في مصر أو السودان، فكانوا عندما يعودون إلى بلادهم يقومون بإنشاء الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم، وقد قامت الكتاتيب بدور كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية، وتعتبر المدن هي المراكز الحقيقية للحياة الإسلامية في بلاد الحبشة، ولذلك تقام فيها المساجد الكبيرة. أما القرى فيكون المسجد فيها عبارة عن مصلى تحت شجرة حيث يقوم الناس بتأدية الشعائر الدينية في أوقات الصلاة، ثم في مساء كل يوم جمعة تتحول إلى مكان لترتيل القرآن الكريم، وقراءة الأوراد والسيرة النبوية، وكتب الأحاديث والفقه.

---

(١) حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره. ص٤٣٩.

(٢) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق. ص١٥٨.

وتتمتع طائفة الفقهاء بالاحترام في كل مكان. وتختلف ألقابهم بحسب المناطق المقيمين فيها. فأحيانا يسمى الواحد شيخا،وأحيانا يسمى فقيرا، وأحيانا فقيها وفى هرر يسمى مومى. ومن اختصاصات الفقهاء في الحبشة إمامة الناس في الصلاة، وكتابة التمائم، ويقوم أحيانا بدور الطبيب.

وعودة للحديث عن المذهب السني السائد في الحبشة. فنجد أنه يتوقف على البلد الذى جاء منه المذهب، فالمذهب الشافعي أكثر انتشارا لأنه قدم من شبه الجزيرة العربية. بينما نجد في الأجزاء التى دخلها الإسلام عبر السودان ينتشر المذهب المالكي. وأثناء الاحتلال المصري لهرر وإريتريا انتشر المذهب الحنفى. وقد أبقى الإيطاليون على هذا المذهب، ويوجد في مدينة أديس أبابا مسجدان، يؤمهما أتباع المذهب الحنفي.(١)

وبالنسبة للطرق الصوفية، فالدخول فيها يتم بسهولة ويسر لأنهم بسطوا مبادئها، وتنتشر هناك الطريقة الميرغنية، والختمية التى دخلت الحبشة عن طريق كسلا، وتوجد الطريقة الرحمانية، وهى أحد فروع الشاذلية، وتنتشر في مصوع وسواكن، والسمانية وتنتشرفى جبرت وإريترية، والتيجانية، وتنتشر في الجلا.(٢)

وينتشر بين المسلمين الأحباش احترام وتقديس الأولياء، كما تنتشر أضرحتهم في كل مكان. والظاهرة الملحوظة على هؤلاء الأولياء أنهم

---

(١) حسن إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٩.

(٢) المرجع السابق. ص١٦١.

غرباء وتعدُّ أضرحتهم مزارات. ومن أشهر هؤلاء الأولياء سيدي سعد الدين في زيلع، وسيدي عمر السكري، والأمير نور بن المجاهد في هرر.

أما عن التطبيق الحقيقي للإسلام فيتفاوت بين البدو والحضر. فالبدو لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه فقط، فلا يؤدون فروضه، أما إسلام أهل المدن فأشد عمقا من البدو.

بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام

تأليف

العلامة المقريزى

المتوفى فى٨٤٥هـ/١٤٤٦م

مع دراسة عن الإسلام في شرق إفريقيا والحبشة

تحقيق وتعليق ودراسة

عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم

ماجستير التاريخ الإسلامى الإفريقى

جامعة القاهرة

المقريزى وكتابه الإلمام

المقريزى هو تقي الدين أبو محمد بن علـى بـن عبـد القـادر المقريزى[١]. ولد في حارة برجوان[٢] التابعة لدائرة قسم الجمالية بالقاهرة في عام ٧٦٦هـ/١٣٦٥م. وتعود أصـول المقريـزى لأسـرة شـامية مشهورة بالعلم والصلاح فجده لأبيه كان راويـا للحـديث، وتـولى دار الحديث البهائية في دمشق[٣]. أما جده لأمه، فهو ابن الصـائغ الحنفـي، المتوفى في عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م. فقد كان يتولى دار العدل، وتـدريس الفقه الحنفي في الجامع الطولوني. أما أبو المقريزى فكان يتولى كتابـة الإنشاء، والحساب.

أما عن المقريزى فقد حفظ القران الكريم في سن صـغيرة،وفـى مرحلة الشباب تتلمذ على يد كثير من العلماء الذين أجازوه. منهم العـالم الحراوى والفضل النويرى (ت٧٨٦هـ/١٣٨٤م)، والسـراج البلقينـى (ت٨٠٥هـ/١٤٠٣ م). كما أجازه كثير مـن العلمـاء مثـل الإسـنوى

---

(١) المقريزى: نسبة إلى حارة المقارزة،في بعلبك،حيث نزل فيها جده الأعلى إبـراهيم. انظـر السخاوى الضوء اللامع .ج٢. ص٢١.

(٢) حارة برجوان: تنسب إلى أبى الفتوح برجوان، مدبر الدولة الفاطمية، في عهد العزيز بالله الفاطمى. قتل على يد الحاكم بأمر الله الفاطمي. وكان مسئولا عن القصـور الفاطميـة. انظـر المقريزى: الخطط، ج٢. ص٣-٤.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣. ص٣٩.

(ت٧٧٢هـــ/١٣٧٠م)، والعمـــاد بـــن كثيـــر (ت٧٧٤هـــ/١٣٧٣م)، النويرى(ت٧٨٦هـ/١٣٨٤م)[١].

وقد التحق المقريزى بالعديد من الوظائف نتيجة خبرتـــه العلميـــة فعمل في مقتبل حياته في ديوان الإنشاء برتبة كاتب، وهى مـــن المهـــن التي لا يعين فيها إلا من كان له طول وباع في التعليم وله التفـــوق فـــي الأدب والتاريخ.[٢]

ثم عين قاضيا من ضمن قضاة المذهب الشافعي على الرغم مـــن أنه من أتباع المذهب الحنفي، ولكنه كان قد تحول إلى المذهب الشافعى. ثم عمل إماما لجامع الحاكم بأمر الله الفاطمي.[٣]

ثم عين بتوصية خاصة من العلامة ابن خلدون مدرســا للحـــديث بالمدرسة المؤيدية، وهى من الوظائف عالية القيمة حينذاك،وربما يعادلها الآن منصب أستاذ.

ثم عمل محتسبا عندما عينه السلطان برقـــوق محتســـبا للقـــاهرة والوجه البحري، وقد ساعدته هذه المهنة كثيرا في كتاباته التاريخية حيث كانت سببا في اختلاطه بطبقات المجتمع المصري. وقد أحسن المقريزى

---

(١) محمد كمال الدين:أربعة مؤرخين، وأربعة مؤلفات، الهيئة العامة للكتاب١٩٩٢. ص١٧١-١٧٢.

(٢) محمد مصطفى زيادة: تاريخ حياة المقريزى. مجموعة أبحاث، الهيئة المصـــرية للتـــأليف والترجمة. القاهرة. ١٩٧١. ص١٥.

(٣) محمد كمال الدين: مرجع سبق ذكره. ص١٧٣.

في أداء هذه المهنة بكل اقتدار وأمانة وعدل. ولكنه تنحّى عن هذه المهنة مرتين بسبب إحساسه أنها قد تشغله عن الكتابة.(١)

وقد عاد المقريزى للتدريس مرة ثانية حيث عينه السلطان برقوق مدرسا للحديث بالمدرستين الإقبالية والأشرفية بدمشق. كما حاول السلطان فرج بن برقوق تعيينه قاضيا في الشام ولكنه رفض.(٢)

ثم عاد مرة ثانية للقاهرة بعد مرور عشر سنوات أمضاها في دمشق. وبدأ في التفرغ للعلم، ثم قام برحلة للحج، وأقام مجاورا بمكة مدة خمس سنوات. عمل فى أثنائها مدرسا للحديث، وقام بتأليف عدد من الرسائل الصغيرة مثل (الكلام عن بناء الكعبة بيت الله الحرام)، وكتاب (التبر المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك)، وكتاب (وصف حضرموت العجيبة).(٣)

ثم عاد المقريزى إلى القاهرة مرة ثانية حيث أمضى بقية حياته. وقد توفى عام (٨٤٥هـ/١٤٤٦م). عن عمر يناهز الثمانين عاما، بعد أن أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات.

أما عن مؤلفات المقريزى التاريخية. فقد تنوعت طبقا للظروف التي عاشها وطبقا للموضوعات، ولذلك يجدر بنا أن نقسمها لمراحل، فمن حيث الأماكن التي عاش فيها وعمل بها نجد المرحلة الدمشقية، وقد ألف فيها الكتاب الآتى: (النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى

---

(١) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٢) محمد مصطفى زيادة: المرجع السابق. ص١٥-١٦.

(٣) محمد مصطفى زيادة:مرجع سبق ذكره.ص ص١٧-٢٠.

هاشم). والمرحلة المكية وتشمل كتب مثل (الذهب المسبوك) و(الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام) والمرحلة القاهرية وبها كتب جل مؤلفاته.ومنها (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) وكتاب (المقفى الكبير) وكتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) و(السلوك لمعرفة دول الملوك) وهناك المرحلة الوظيفية والتي أنجبت كتبا كثيرة مثل (الخطط) كما أسلفنا و(إغاثة الأمة بكشف الغمة) إلى آخر المؤلفات، والتي ذكرناها هنا على سبيل الأمثلة وليس الحصر.

أما عن منهج المقريزى في كتاباته التاريخية فكان يعتمد على المنهج الوصفى، وأحيانا المنهج التحليلي للأحداث،وقد برع كثيرا في استخدام هذا المنهج. ويمكن إجمال منهج المقريزى التاريخي في النقاط التالية:

١- أمانة العرض:

تميز المقريزى بأمانة العرض، والتجرد عن الأهواء، مع عدم التعصب لأى رأى وفكرة، مع تقبل أراء الآخرين بكل احترام. ولذلك تميز بأنه يحترم قلمه، عفيف النفس، واللفظ، وأنه يتقى الله فيما يقول؛ ولذلك اقترن باسمه لقب التقى المقريزى.[١]

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: أضواء على كتابات المقريزى، مجلة عالم الفكر، الكويت.١٩٨٣ مجلد ١٤. ص١٧٨-١٨١.

٢- تمحيص الروايات التاريخية:

لم يكتف المقريزى بالنقل، وإنما كان يتحـرى الحـدث ويحللـه، وربما كان عمله بالتدريس في علم الحديث قد أفاده كثيرا علـى عكـس كثير من المؤرخين الذين كانوا يكتفون بالنقل دون محاولة التدقيق.[١]

٣- عدم التطويل:

تميز المقريزى أيضا بعدم التطويل الممل في سرد الأحداث. كمـا بعد عن الاستطراد في الموضوعات. وإن كان يقع فيه أحيانا، ثم لا يلبث أن يعود مرةً ثانيةً إلى الحدث.[٢]

٤- الميل للكتابة الشعبية:

تميز المقريزى في كتاباته التاريخية بالانحياز للطبقات الشـعبية. أو بمعنى أدق لم يكتب للحكام خاصة، ولكنه كتـب وأعطـى للطبقـات الشعبية حقها في الكتابة. مما جعله بحـق مـن رواد مدرسـة التـاريخ الاجتماعي، فهو يجد في الكتابة التاريخية المواجهة للشعب والتزاماً خلقياً وأدبياً تجاه الطبقات الفقيرة والمهمشة. واصفا نفسه، في كتاباته أنه (وإنى لأرجو أن يحظى إن شاء الله تعالى عند الملوك، ولينبو عن طباع العامي والصعلوك، ويجله العالم المنتهى، ويعجب به الطالب المبتدى، وترضـاه خلائق العابد الناسك، ولا يمجه سمع الخليع الفاتك، ويتخذه أهل البطالـة والرفاهية سمرا، ويعده أولو الرأى والتدبير موعظة وعبرا).[٣]

---

(١) المرجع السابق. ص١٧٩.

(٢) المرجع السابق. ص١٧٩.

(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار. ج١. ص٣.

وهكذا نرى في اقتباسنا الذي أخذناه من المقريزى في كتابه العبر الدليل القاطع على منهج المقريزى الذي يخاطب به جميع فئات المجتمع.

٥- عدم النفاق للحكام:

لم يكن المقريزى من طلاب الدنيا؛ ولذلك التزم في منهجه التاريخي بعدم مداهنة الحكام وعدم منافقتهم على الرغم من طبيعة العصر الذي ظهر فيه المقريزى، والذي تميز بانتشار روح النفاق والتقرب للحكام؛ ولذلك كان يعزف عن تولى الكثير من الوظائف التي قد تستدعى تملقاً للحاكم، محافظا لنفسه على كرامتها، ومترفعا عن الدنايا؛ لذلك نجد في كتاباته الكثير من النقد اللاذع للحكام، والكشف عن الفساد الذي استشرى في الأمة مثل سريان النار في الهشيم، ملقيا تبعية ذلك على الحكام فمثلا في حوادث عام (٨٣٢ هـ) نجده يتحدث عن جشع السلطان برسباى نتيجة لممارسته سياسة الاحتكار، والتي أدت إلى حالة من الكساد الاقتصادى.(١)

٦- الاهتمام بالتحليل الاقتصادي للظواهر التاريخية:

يتميز المقريزى باهتمامه الشديد بتحليل الأحداث اقتصاديا وتعليل الحوادث لأسباب اقتصادية، وكان من الأسباب التي جعلت المقريزى يستخدم هذا الأسلوب هو تأثره بأستاذه ابن خلدون الذي أرسى دعائم فكرة التحليل الاقتصادي مع ميول طبيعية لدى المقريزى في اتباع هذا المنهج ولذلك نجد أنه فاق أستاذه في استخدام هذا المنهج أضف إلى ذلك

---

(١) سعيد عاشور: نفس المرجع. ص ١٨١.

الأحداث التاريخية التي ألمت بالمنطقة من تدهور اقتصادي واجتماعي جعل معظم المؤرخين يقفون أمام تحليل هذه الظواهر كما لا يمكننا أن نغفل أن المقريزى استفاد كثيرا من عمله كمحتسب، حيث استدعت واجبات هذه المهنة منه الاحتكاك اليومي بالمواطنين، ومعرفة المكاييل والموازيين، وتعامله مع كل طبقات الشعب من حوله. مما كون حصيلة كبيرة من المعلومات لدى مؤرخنا يحسده عليها كثير من المؤرخين.

المقريزى في عيون معاصريه:

تعرض المقريزى في حياته - وهذا شيء طبيعي بالنسبة لشخصية عامة بوزن المقريزى - لكثير من الآراء سواء بالمدح أو بالذم من معاصريه، ونحاول في عجالة سريعة العرض لهذه الآراء سواء المادحة أو الذامة له.

أولا: الآراء المادحة:

في معرض الحديث عن المدح ذكر ابن تغرى بردى عن المقريزى أنه (مؤرخ زمانه، لا يدانيه أحد في ذلك، مع معرفتي بمن عاصره من مؤرخي العلماء، ومع هذا كان مبعدا في الدولة لا يدنيه السلطان مع حسن محاضرته، وحلو منادمته)(١) ومن المادحين أيضا ابن حجر الذي قال عن المقريزى: (وكان إماما بارعا مفنناً، ضابطا، دينا، خيرا، محبا لأهل السنة، يميل للحديث والعمل به).(٢) ومن العجيب أن السخاوى الذى كان من أشد المهاجمين للمقريزى - وسنعود إليه عند

---

(١) محمد كمال الدين: مرجع سبق ذكره. ص١٧٤.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، بأنباء العمر، حيدر أباد، ١٩٧٦. ج٩. ص١٧٢.

عرض الهجوم على المقريزى مدح المقريزى بقوله: (صاحب النظم الفائق، والنثر العابق، والتصانيف الباهرة، خصوصا في تاريخ القاهرة، فإنه أحيا معالمها، وأوضح مجاهلها، وجدد مآثرها، وترجم أعيانها) وقال أيضا في معرض الحديث عن أخلاق المقريزى: (إنه حمدت سيرته في مباشراته، كثير الاستحضار للوقائع القديمة) كما وصفه بحسن الخلق وكرم العهد، وكثرة التواضع،وعلو الهمة لمن يقصده، والمحبة في المذاكرة ،والمداومة على التهجد والأوراد، وحسن الصلاة،ومزيد الطمأنينة فيها، والملازمة للسنه).(١)

الآراء الذامة.

ليس المقصود هنا بكلمة الذم المعنى الحرفي للكلمة، ولكن المراد هو تبيان الآراء التى هاجمت المقريزى بعد صدور موسوعته (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار).

ومن أصحاب هذا الهجوم السخاوى الذي اتهم المقريزى بأنه نقل كتاب الخطط من الأوحدى دون الإشارة إليه، بل لم يتوقف في الاتهام عند هذا الحد بل قال: إن المقريزى معارفه التاريخية يعتريها بعض الضعف. واتهمه بالتحريف وعدم الدقة في إيراد الاحداث.(٢)

وللرد على ادعاءات السخاوى نجد أن المقريزى قد عاش مدة طويلة -توفى عن عمر يناهز الثمانين عاما- وطبيعي أنه عاصر دولة المماليك الأولى والثانية وبمعنى أدق أنه كان معاصرا للأحداث فلماذا

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع، ج٢. ترجمة ٦٦.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سبق ذكره. ص١٧٠-١٧١.

يلجأ للنقل عن غيره؟ ومن المعروف أن المؤرخ المعاصر للحدث تكون روايته أقوى.

ثم كيف يتأتى للسخاوى توجيه مثل هذا الاتهام للمقريزى. وقد وصفه بالصلاح والتقوى إلى آخر الصفات التي ذكرناها سابقا. ويكون غير أمين في نقل معلوماته، بل العجيب أنه ينسب هذه الاتهامات لشيخه ابن حجر على الرغم من مدى تقدير ابن حجر للمقريزى.

هذا بالنسبة للافتراضات العقلية، ولكن لو جئنا للافتراضات الواقعية سنجد أن المقريزى لم ينكر اتصاله بالأوحدى ولكن على سبيل الاستفادة منه كمصدر وليس النقل.

كما أن المقريزى يذكر بكل أمانة من استفاد منه فى كتاب الخطط من السابقين مثل القضاعى، وابن بركات، والجوانى، وابن عبد الظاهر، وابن المتوج. فإذا كان استفاد من الأوحدى فما المانع من أن يذكره؟

بالإضافة إلى أن أسلوب المقريزى يعتمد على طريقة السند، وهى طريقة تتعارض مع النقل حيث تعتمد على السماع بالأذن والإسناد لرواتها

والدفاع الأخير الذي نسوقه في مقام الدفاع عن المقريزى هو أنه لو كان المقريزى ناقلا لكتاب الأوحدى، ما كان يحتاج لكل هذه السنوات الطويلة التي استغرقها في تأليف الخطط التي استمر في تأليفها ما يقرب من ربع قرن.(١)

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سبق ذكره. ص١٧٥.

وعلى الرغم من كل الاتهامات الباطلة التـــى وجههـــا الســـخاوى للمقريزى. فلا يمكن أن نذكر أنه لم يتأثر به. والدليل على ذلـــك قيامـــه بتأليف كتاب (التبر المسبوك في ذيل الســـلوك) أراد بـــه تكملـــة كتـــاب المقريزى.(١) فإذا كان المقريزى غير أمين كما سبق وادعى الســـخاوى فكيف يركن إليه و يكمل كتابه. سؤال يوجه للسخاوى. أما نحن فنعـــرف إجابته مقدما.

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: نفس المرجع، ص١٧٥.

المقريزى وكتابه الإلمام

يعود كتاب الإلمام للمقريزى إلى فترة الكتابة المكية وهي الفترة التي جاور فيها المقريزى بمدينة مكة المكرمة، والتي أفرزت مجموعة من الرسائل العلمية ومنها هذا الكتاب الذي بين يدينا.

وقد اعتمد المقريزى في كتابه على الروايات الشفوية التي كان يسمعها من الحجاج القادمين من هذه المناطق. كما أنه اعتمد على كتابات الرحالة السابقين من أمثال ابن سعيد الرحالة المغربي الشهير(١) في الجزء الذي تناول مناطق غرب إفريقيا، وأيضا بعض كتب الرحالة والذين لم يحددهم، وإن كنا نستطيع معرفتهم وهم أصحاب كتب (المسالك والممالك) كما اعتمد المقريزى أيضا على الروايات السمعية من الذين زاروا هذه البلاد.

أما محتويات الكتاب فتحتوى على مقدمة وأربعة فصول.

احتوى الفصل الأول على تاريخ بلاد الحبشة. ذاكرا فيه أشهر ملوكها. وتحدث عن انتشار المسيحية فيها، وتطور نظمها الحضارية والاجتماعية.

والفصل الثاني تحدث فيه عن بلاد الزيلع ذاكرا أهم دولها، مع دراسة تفصيلية لأهم نظمهم السياسية والحضارية.

---

(١) ابن سعيد: مؤلف جغرافي عربي، من مدينة غرناطة. درس جغرافية بطليموس، وألف موسوعة تسمى الأقاليم السبعة. توفى عام ١٢٨٦م.

بينما نجد موضوعات الفصل الثالث تتحدث عن دور المسلمين في الجهاد ضد الأحباش، ودور بعض سلاطين المسلمين في قيادة حركة الجهاد.

وتأتى أهمية كتاب الإلمام أنه يقدم معلومات عن منطقة غالية على نفوس كل المسلمين وهى منطقة شرق إفريقيا، وتظهر أهمية الكتاب أيضا أنه قدم وصفا لملامح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأيضا أبرز عقلية المقريزى الجغرافية التي تظهر في تقديمه معلومات عن الموقع والمناخ لا تختلف كثيرا عن ما نعرفه الآن مع اختلاف العصر.

ولكن يعيب الكتاب أحيانا ركون المقريزى إلى الروايات التي قد تنافى العقل أحيانا مثل حديثه عن الحيات التى ذكر رواية عنها أنها قد تبلغ ارتفاع الجبل عند وقوفها، أو رواية السحرة الذين يستطيعون أن يوقفوا السحاب، أو رواية وجود شجرة تظلل حوالي مائتين فارس، وكثير من الروايات التي تظهر في ثنايا الكتاب، وان كان هذا كله لا يقلل من قيمة الكتاب علميا.

والكتاب قد طبع في مصر أول مرة عام (١٨٩٥م) طبعة غير محققة وغير مفهرسة، وغير مشروحة أو مهمشة، مما يستلزم إعادة الطبعة مرة ثانية . وهو ما قد قمنا بفعله في هذه الطبعة.

وقد قمت بوضع ملاحق للكتاب توضح طبيعة علاقات الدول الإسلامية مثل مصر مع بلاد الحبشة، ومعجم صغير للغة السواحيلية.

الإلـــمـــــام

بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام

تأليف

العلامـــة المقـــريزى

المتوفى فى ٨٤٥هـ/١٤٤٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله صحبه أجمعين (وبعد) فهذه جملة من أخبار الطائفة القائمة بالملة الإسلامية ببلاد الحبشة المجاهدين في سبيل الله من كفر به وصد عن سبيله تلقيتها بمكة - شرفها الله تعالى - أيام مجاورتي بها في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة من العارفين بأخبارهم، والله أسأله التوفيق إلى سواء الطريق بمنه و كرمه.

ذكر بلاد الحبشة

(اعلم) أن بلاد الحبشة أولها من جهة المشرق المائل إلى جهة الشمال بحر الهند المار من باب المندب إلى بلاد اليمن، وفيها يمر نهر حلو يقال له سيحون[١] يرفد نيل مصر وجهة الحبشة الغربية ينتهي إلى بلاد التكرور مما يلي جهة اليمين، وأولها مفازة بمكان يسمى وادي بركة يتوصل منه إلى سحبرت، وكانت سحبرت مدينة المملكة في القديم، ويقال لها: "أخشرم"، ويقال لها أيضا: نهر فرتا، وبها كان النجاشي ثم إقليم أمحزا[٢] وهو الآن مدينة المملكة، وتسمى أيضا مر عدى ثم إقليم شاوه

(١) هو نهر العطبرة.

(٢) أمحرا هو إقليم أمحرة، ومنها اشتق اسم أكبر القبائل وهى قبيلة الأمهارا، وهم يسكنون في الشمال والوسط وديانتهم المسيحية.

ثم إقليم داموت ثم إقليم لآمنان ثم إقليم السهنو ثم إقليم الزنج ثم إقليم عدل الأمراء ثم إقليم حماسا ثم إقليم باريا ثم إقليم الطراز الإسلامى الذى يقال له الزيلع، ولكل إقليم من هذه الأقاليم الاثنى عشر ملك، والكل من تحت يد الحطى، ومعناه بالعربية السلطان، وتحت يده تسعة وتسعون ملكا وهو تمام المائة إلا أن بلادهم غير مشهورة عندنا، وجميع بلاد الحبشة تزرع على المطر في السنة مرتين فَيُحَصِّل لهم في السنة الواحدة مغلان، وإن كثر عندهم نزول المطر وقعت الصواعق، وعندهم أشجار كثيرة منها ما تظل الواحدة منهن مائتي فارس، فمن أشجارهم شجر الأبنوس، وعندهم القنا وهو نوعان: صامت ومجوف، ولهم منابت لا تعرف بأرض مصر ولا الشام ولا العراق، وعندهم معدن الحديد ومعدن الذهب، ويوجد في بعض بلادهم معدن الفضة، وتعظم عندهم الحيات بحيث تقوم الحية بأعلى الجبل فتصير في الجو شبه قوس قزح في عظمها لا في اللون. أخبرني ثقة أنه شاهد ذلك، وعندهم سحرة يمنعون الريح أن تهب، فيأمر الحطى بهم أن يضربوا فلا يزال يضربون حتى تهب الريح فيذروا عليها غلالهم، وعندهم دجاج الحبش وهو برى، ولهم دجاج مائي يخرج هو والبط من بركة ماء في إقليم هدية من بلاد الزيلع، وهو يتولد من هذا الماء.[١]

---

(١) المقصود به طائر البجع.

ولابد للحبشة من مطران يوليه بطريق النصارى اليعاقبة من مصر بعد سؤال الحطى لسلطان مصر[١] في ذلك بكتاب يبعث بصحبة مرسله هديةً، فيتقدم البطريق بتعيين مطران لهم. والحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم[٢]، ويعتقدون مذهب اليعقوبية[٣]، وهم يتشددون في ديانتهم تشددا زائدا، ويعادون من خالفهم من سائر الملل أشد عداوة ويعادون الطائفة الملكية[٤] من النصارى بحيث أخبرني من دخل منهم إلى بلاد الحبشة أنه أظهر بها أنه يعقوبى خوفا من القتل لو علموا أنه ملكي.

والحبشة تسكن بيوتا من قش تطلى بأحشاء البقر. ويأكلون اللحم نيئا حتى لقد أخبرني من شاهد الحطى داود بن سيف أرعد يأكل كرش بقرة نيئا وما فيه من بقايا الفرث يسيل على حنكه، وشاهد رجلا يأكل دجاجة وهى تصيح، وهم عراة الأبدان لا يكادون يعرفون لبس المخيط بل يرتدون ويتّزرون في أوساطهم، وليس للحطى ديوان لكنه إذا خرج للغزو أمر جنده فألقى كل منهم حجرا في موضع يعينه لذلك، فإذا رجع

---

(١) كان تعيين المطران يستخدم كورقة ضغط على الأحباش من قبل مصر عندما كان الأحباش يهددون بقطع مياه النيل.

(٢) دخلت المسيحية بلاد الحبشة في القرن الرابع الميلادى.

(٣) المذهب اليعقوبى: يزعمون أن المسيح عليه السلام ذو طبيعة واحدة من طبيعين، وجوهر الإنسان المحدث تركبت تركيبا فصارت جوهرا واحدا، وأصبح أقنوما واحدا.

(٤) الملكانية: يقولون أن المسيح عليه السلام ناسوت كلى لاجزئى،وهو قديم أزلى، بمعنى أن مريم ولدت إلها أزليا. انظر الشهرستاني:الملل والنحل،مؤسسة الكتب الثقافية،لبنان١٩٩٨ ص١٧.

من غزواته أخذ كل واحد من العسكر حجرا فما فضل من الحجارة علموا به عدة من هلك منهم.

فلما ملك الحطى داود بن سيف أرعد سنة اثني عشرة وثمانمائة أقيم بعده ابنه تادرس فهلك سريعا، وأقيم بدله أخوه إسحاق بن داود بن سيف أرعد، ورأيت من يسميه أبرم ففخم أمره، وذلك أن بعض المماليك الجراكسة ممن كان زركاش[١] بديار مصر قدم عليه وأقام عنده وعمل له زردخانات[٢] عظيمة تشتمل على آلات السلاح من السيوف والرماح والزرديات ونحو ذلك، وكانوا من قديم إذا لاح لهم الحراب يرمون بها.

وقدم عليه من أمراء الدولة بمصر شخص يقال له الطنبغا مفرق ترقى حتى ولى بعض بلاد الصعيد، ثم فر إليه، وكان يعرف من أبواب اللعب بآلات الحرب ومن أنواع الفروسية أشياء فحظي عند الحطى، وعلم عساكره رمى النشاب[٣] واللعب بالرمح، والضرب بالسيف، وعمل لهم النقط فعرفوا ساعات الحروب.

وقدم عليه أيضا من قبط مصر نصراني يعقوبى يعرف بفخر الدولة فرتب له المملكة، وجبى له الأموال، فصار ملكا له سلطان وديوان بعد ما كانت مملكته ومملكة آبائه همجا لا ديوان لها ولا ترتيب ولا قانون فانضبطت عنده الأمور وتميز زيه عن رعيته بالملابس الفاخرة بعد ما كان داود بن سيف أرعد يخرج عريانا وقد عصب رأسه بعصابة

---

(١) زركاش: صانع الأسلحة، والمشرف عليها.

(٢) زردخانات: مخازن الأسلحة. وأيضا تطلق على المصانع الحربية.

(٣) النشاب: هي القوس والأسهم.

خضراء فصار إسحاق يمر في موكب جليل بشارة الملك حتى لقد أخبرني من رآه وهو راكب فرسه وقد مر في موكبه وبيده اليمنى صليب من ياقوت أحمر قد قبض عليه بكفه، ووضعها على فخذه، وطرفا الصليب بارزان عن يده بروزا كثيرا.

فلما تحضرت دولته وقويت شوكته وسولت له شياطينه أن يأخذ ممالك الإسلام، فأوقع بمن تحت يده في ممالك الحبشة من المسلمين وقائع شنيعة طويلة قتل فيها وسبى، واسترق عالما لا يحصيه إلا خالقه سبحانه، وزالت دولة المسلمين من هناك - كما ياتى ذكره إن شاء الله تعالى - ثم كتب إلى ملوك الإفرنج يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة الإسلام[1] وواعدهم على ذلك، وأخذ في تمهيد مابينه وبين البلاد الإسلامية واستجلاب العربان إليه فعاجله الله تعالى بنقمته، وأهلكه عقب ذلك في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثماني مائة.

وسلط على أمحرة الملك جمال الدين بن سعد الدين فأوقع بهم وقائع وأفني منهم أمما، وأسر منهم عوالم ملأت أقطار الأرض يمنا، وهندا، وحجازا، ومصرا، وشاما، وروما.

وقد أقيم بعد إسحاق المذكور ابنه اندراوس فهلك بعد أربعة أشهر من ولايته، وأقيم بعده عمه حربناى بن داود بن سيف أرعد فلم تطل

---

(١) كان للحبشة اتصالات مع البرتغاليين، وقيل إنهم قدموا مشروعاً لتحويل مجرى النيل للبحر الأحمر لحجز مياه النيل عن مصر في إطار الصراع بينهم وبين دولة المماليك كما حاولوا أيضا تحويل الأحباش للمذهب الكاثوليكي، ولذلك ترجموا الكثير من تعاليم المذهب الكاثوليكي للغة الأمهرية، ولكنهم فشلوا.

أيامه، وهلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين، فأقيم عوضه سلمون ابن إسحاق بن داود فهلك سريعا، فكان للحبشة في سنة أو نحوها أربعة ملوك، وتوالت حروب المسلمين فيهم تقتل، وتأسر، وتسبى، وتحرق، وتغنم.ثم فشا في عامة بلاد الحبشة وباء عظيم شنيع في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، وهلك فيه الحطى وعالم عظيم حتى قيل إنه قد خلت البلاد لموت أهلها، والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ذكر بلاد الزيلع

(اعلم) أن بلاد الزيلع كما تقدم من جملة أراضى الحبشة، وعرفت بقرية في جزيرة بالبحر يقال لها زيلع، وطول أرض الزيلع برا وبحرا نحو شهرين، وعرضها أكثر من شهرين إلا أن غالبها قفار غير مسكونة، ومقدار العمارة مسافة ثلاثة وأربعين يوما طولا في عرض أربعين يوما.

وتنقسم إلى سبع ممالك وهى: أوفات، ودوار، وأرابينى، وهدية، وشرخا، وبالى، ودارة. ولكل مملكة من هذه الممالك السبع ملك، ويتسلط عليهم جميعا الحطى ملك أمحرة يأخذ منهم القطيعة من المال في كل سنة، وهى قماش وغيره، وهى ممالك ضعيفة قليلة المتحصّل وفيها المساجد والجوامع التي تقام بها الجمعة والجماعة، وعند أهلها محافظة على الدين، ويقال لها الجبرت، وهى بلاد حارة وبيوتهم من طين وحجر وخشب، وليس بها أسواق ولا فخامة لأمورهم.

ومملكة أوفات طولها خمسة عشر يوما في عرض عشرين يوما كلها عامرة بالقرى والأسواق، والأسعار بها رخيصة. أخبرني الشيخ المعمر الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق بن محمد خلف ابن محمد المجاصي المغربي الجوال في الأرض - رحمه الله - قال: رأيت بمدينة أوفات أيام عمارتها الوز يباع كل عرجون بربع درهم فيه نحو مائة وزة، ورأيت اللحم يباع كل طابق وهو ثلاثون رطلا بدرهم ونصف، وملك أوفات يحكم على الزيلع.

وغالب أهلها شافعية المذهب، وكثر فيهم لعهدنا الحنفية، وكلام أهلها بلغة الحبشية، ويتكلمون أيضا العربية، ولهذه المملكة عدة مدن، وملكها يجلس على كرسي ويركب بالجتر والطبل والزمر، وعندهم الفواكه وقصب السكر، ولهم منابت لا تعرف بمصر والشام منها شجرة يقال لها جات لا ثمر لها يؤكل ورقها، وهى تشبه أوراق شجر النارنج، وهى تزيد في الذكاء، وتذكر المنسيات، وتفرح، وتقلل شهوة الأكل والجماع، وتقلل النوم، ولأهل تلك البلاد في أكل هذه الشجرة رغبة كبيرة لا سيما أهل العلم، ويجلب إليها الذهب من داموت وسحام، وهما معدنان ببلاد الحبشة وبه معاملاتهم.

ومملكة دوارو طولها خمسة أيام في عرض يومين، وأهلها حنفية المذهب ومعاملاتهم بالحديد تسمى الواحدة من تلك الحدايد حنكة بفتح الحاء المهملة وضم النون والكاف، وهى طول الإبرة في عرض ثلاثة إبر، فتباع البقرة بخمسة آلاف حنكة، والرأس الغنم بثلاثة آلاف حنكة، وهى مجاورة لأوفات.

ومملكة أرابينى طولها أربعة أيام وعرضها كذلك، وأهلها حنفيـة، وهى تلي دوارو، وهم كأهلها في المعاملة وغيرها.

ومملكة هدية طولها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام، وملكها أكثر الجميع عسكراً، وزيهم كزى أهل أرابينى حتى المعاملة، وإليهـا تجلـب الخدام الخصيان الذين يعرفون بأرض مصر بالطواشية وأحدهم طواشي، فإن صاحب أمحرة يمنع من خصي من العبيد ويشتد في ذلك فتأتى بهـم السراق إلى مدينة وشلو، وأهلها همج لا دين لهم فتخصى بها العبيد، فإنه لا يوافق على ذلك في جميع بلاد الحبشة سواهم، يحمل من يخصى إلـى مدينة هدية فتعاد عليهم المواسى مرة ثانية حتى ينفتح مجرى البول، فإنه يكون قد انسد بالقيح ثم يعالجون حتى يبرأوا لذرية أهل هدية بذلك، وقل من يعيش من الخصيان لأنهم يحملون إلى هدية من غير علاج.

ومملكة شرخا طولها ثلاثة أيام في عرض أربعة أيـام، وأهلهـا حنفية.

ومملكة بالى طولها عشرون يوماً في عرض ستة أيام، وهى أكثر بلاد الزيلع خصماً، ومعاملاتهم بالأعواض غنماً ببقـر، وبقـراً بثيـاب، ونحو ذلك، وأهلها حنفية.

ومملكة دارة طولها ثلاثة أيام في عرض ثلاثة، وهـى أضـعف ممالك الزيلع، وأهلها حنفية، وهم أيضاً يتعاملون بـالأعواض، وجميـع ملوك هذه الممالك إنما هم نواب عن الحطي لا يقيمهم إلا هو، ويجـاور هذه البلاد ناصع وسواكن ودهلك وأهلها مسلمون، وألسنة ممالك الزيلـع لغات مختلفة تبلغ زيادة عن خمسين لساناً، وكلهم يكتب بالقلم الحبشـي،

وكتابتهم من اليمين إلى الشمال، وعدة حروف هذا القلم ستة عشر حرفاً لكل حرف سبعة فروع جملة ذلك مائة واثنا عشر حرفاً سوى حروف أخرى مستقلة بذواتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المذكورة مضبوطة بحركات متصلة بالحرف لا منفصلة عنه.

هكذا كان ترتيب هذه البلاد، ومنها ما بقى ومنها ما زال بزوال الدول وقيام دول سواها، سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

ذكر الدولة القائمة بجهاد النصارى من الحبشة

(اعلم) أن هذه الدولة قام بها قوم من قريش فمنهم من يقول: "هم من بنى عبد الدار"، ومنهم من يقول: "إنهم من بنى هاشم"، ثم من ولد اليوم بجبرت، وهى من أراضى الزيلع واستوطنوها وأقاموا بمدينة أوفات، وعرف جماعة منهم بالخير واشتهروا بالصلاح إلى أن كان منهم عمر الذى يقال له لشمع ولاه الحطى مدينة أوفات وأعمالها، فحكم بها مدة طويلة وصارت له بها شوكة قوية وشكرت سيرته حتى مات، وترك أربعة أولاد أو خمسة ملكوا أوفات من بعده واحداً بعد آخر، منهم بزو، ومنهم حق الدين الأول حتى كان أخرهم صبر الدين محمد بن نجوي بن منصور بن عمر، ولشمع، فملك أوفات في حدود سنة سبعمائة من سني الهجرة وطالت مدته.

فلما مات قام بعده ابنه على بن صبر الدين محمد بن عمر، ولشمع اشتهر ذكره في البلاد، وخرج عن طاعة الحطي ثم عاد إليها، فإن أهل البادية لم توافقه بل خالفت عليه، فولي الحطي سيف أرعد ابنه أحمد، ويعرف بحرب أرعد بن على بن صبر الدين محمد بن عمر، ولشمع على مدينة أوفات وأعمالها، وقبض على وأنزله عنده بمكان هو وأولاده، فأقام على صبر الدين عند الحطي نحو ثماني سنين ثم رضي عليه وأعاده إلى ولايته على مدينة أوفات، وطلب ابنه ابن على فملك على أوفات ثانياً، وقد سار ابنه أحمد إلى حرب أرعد إلى الحطي فألزمه أن يقيم ببابه، فأقام في خدمته وولد له هناك ثلاثة أولاد منهم سعد الدين

محمد، ثم إن الحطي رضي عليه وكتب إلى أبيه على يأمره أن يوليه موضعاً من أعمال جبرت فامتثل ذلك وولاه عملاً من أعماله، فسار إلى ذلك العمل، وأقام به مدة إلى أن قتل في بعض حروب رعيته.

فأقام في موضعه أخوه أبو بكر بن على، وكان أحمد حرب أرعد قد ترك بمدينة أوفات ولداً يقال له حق الدين قد اشتغل بطلب العلم، وسار مطَّرَح الجانب لاعتراض جده على بن صبر الدين عليه وهجره إياه مع معاداة عمه ملا أصلح بن على له العداوة الشديدة ومقته المقت الزائد، ثم إنه أخرجه من مدينة أوفات إلى بعض أعمالها وألزم والى تلك الجهة أن يهنيه ويستخدمه، فأخرجه والى الجهة إلى جباية مال بعض النواحي، فأخذ عندما سار إلى ما وليه في تدبير أمره وأحكام عمله، وجمع الناس عليه حتى قوي جانبه، وأظهر الخلاف على من ولاه فحاربه فانتصر عليه حق الدين وقتله، وغنم ما كان معه، وضم إليه ما كان معه من المقاتلة وبذل لهم المال، فقامت قيامة عمه أصفح وكتب إلى الحطي يخبره الخبر ويطلب منه النجدة لمحاربته.

فأمده الحطي سيف أرعد بعسكر يقال إن عدتهم ثلاثون ألفاً فلقيهم حق الدين فقاتلهم قتالاً شديداً أيده الله عليهم حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وغنم ما معهم وهزم عمه، وقد شهد الواقعة فسار في هزيمته إلى الحطى، فبعث معه عساكر عظيمة جداً فتلقاهم حق الدين وقاتلهم فقتل عمه ملا أصفح بن على بن صبر الدين محمد بن عمر ولشمع، واستأصل حق الدين العساكر فلم ينج منهم إلا القليل، وغنم ما معهم، ثم وسار إلى مدينة أوفات وبها جده على بن صبر الدين وقد اشتد حزنه

على ولده ملا أصفح فإنه كان أعز ولده عنده، وكان هو القائم بأمر الدولة وتدبير الأمور، وتزايد مع ذلك حنقه على حق الدين وبغضه إياه إلا أن ضرورة الحال اقتضت كفه عنه لعجزه عن مقاومته، فتأدب حق الدين مع جده وأقره على ولاية أوفات فأمده عند ذلك بمال حمله إليه، وسار حق الدين بمن معه عن أوفات، وأخرج معه أيضاً أهلها بعيالاتهم ونزل أرض شوه، وبنى هناك مدينة سماها وحل، وأنزل بها أهل أوفات، وجعلها دار مملكة فتلاشت من حينئذ مدينة أوفات وأضيعت حتى خربت، وكان حق الدين هذا أول من خالف من أهل بيته على الحطي ملك أمحرة من الحبشة الكفرة وخرج عن طاعته، وهو أول من استبد منهم بالأمر، وما زال يحارب الحطي وعساكره ويأسر منهم ويغنم إلى أن مات الحطي سيف أرعد.

وقام من بعده بأمر الحبشة ابنه الحطي داود وهو داود بن سيف أرعد فاستمر حق الدين على محاربته إياه - والله يؤيده بنصره - على أمحرة بحيث إنه كانت لهم فيهم بضع وعشرون واقعة في مدة تسع سنين آخرها أنه سار إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً استشهد فيه سنة ست وسبعين وسبعمائة في أرض شوة، ولم يوجد مع القتلى، وكان مدة سلطته نحو عشر سنين، وكان شجاعاً مقداماً قوى النفس عجولاً مهاباً.

وقام من بعده أخوه سعد الدين أبو البركات محمد بن على بن صبر الدين محمد، ولخوى بن منصور بن عمر، ولشمع، فمضى على سيرة أخيه حق الدين في جهاد أمحرة الكفرة لكن بتؤدة وسياسة حسنة، فكثرت عساكره وتعددت غاراته واتسعت مملكته، فقاتل مرة في اثنين

وسبعين فارساً فكسرهم ثم ظفر به العدو بعد ذلك في موضع يقال له أهبزة، وربطوه وساقوه إلى كبيرهم، فأدركه أحد فرسانه وقاتل من كان معه حتى خلصه من أيديهم وأركبه فرسه، ورده إلى أصحابه فجمعهم وجد في جهاد أمحرة، ولقى أمن مرفى من أمراء الحطي وأسر من معه حتى أبيع كل عبدين من الأسرى بتفصيله، ومضى من فوره إلى زلان، وفتح تلك البلاد وغنم أموالها، فبلغت حصة السلطان لخاصة نفسه أربعين ألف بقرة فرقها بأجمعها على الفقراء والمساكين وعلى العسكر حتى لم يجد ما يأكله إلى أن أطعمته إحدى زوجاته، وحصل لسليم بن عبان زوج ابنته اثنتا عشرة ألف بقرة، فأمره أن يخرج منها زكاتها فامتنع فتغير عليه، فأرسل الله تعالى عليه الكفرة فأخذوه وما معه، فلم يفلت منهم سوى زوجته ابنة سعد الدين بحيلة تداركها الله فيها بلطفه.

وغزا أيضاً بلاد تسمى زمدوة في أربعين فارساً وبها من الكفرة أعداد لا تحصى فكانت بينهم وبينه قتلة عظيمة نصره الله فيها نصراً عزيزاً، وغنم ما لا يدخل تحت حصر، وغزا بالى وأمحرة في عشرة أمراء مع كل أمير منهم عشرة آلاف وهو في خمسين فارساً، وجميع من معه لا يبلغون عدة أمير منهم، فعندما تلاقى الجعمان توضأ هو وأصحابه وصلوا ركعتين، وسأل الله تعالى النصر وهم يؤمنون على دعائه، ثم ركب بمن معه وقاتلهم فهزمهم الله ونصره عليهم، فقتل وأسر منهم عدداً لا يحصى بحيث بقيت رءوس القتلى ملء الأرض لا يجد المار موضعاً يمر به إلا عليهم، وكان بينه إذ ذاك وبين بلاده مسافة اثنا عشر يوماً فعاد منصوراً غانماً، وعاد مرة من أصحابه رجل يقال له أسد في أربعين

فارساً، فلقيه أمير من أمراء الحطى يقال له زلن حش في خمسين فارسا لابسين آلة الحرب ومعه من العسكر للراكبين الخيل "عربا" عالم كبير، فكان مشهورا بالقوة والشجاعة فاقتتل الفريقان أعظم قتال وأشده، فقتل الله اللعين، ونصر المسلمين نصرا مؤزرا وغنموا غنائم عظيمة.

فجمع الحطى أمحرة ونزل إلى بلاد المسلمين فلقيه أمير اسمه محمد في ستة فرسان ونحو ألف راجل، فقاتلوا قتالا عظيما استشهد فيه الأمير محمد ومن معه، ولم يسلم منهم سوى فارس واحد فجرد الحطى أميرا يقال له باروا، فلقيه سعد الدين بنفسه ومعه الفقهاء والفقراء والفلاحون وجميع أهل البلاد وقد تحالفوا جميعا على الموت، فكانت بينهما وقعة شنيعة استشهد فيها من المشايخ الصلحاء أربعمائة شيخ كل شيخ منهم له كازو تحت يده من الفقراء المساكين عدد عظيم، فاستمر القتل في المسلمين حتى هلك أكثرهم وانكسر من بقى ومر سعد الدين على وجهه وأمحرة في إِثْره يتبعه حتى التجأ إلى جزيرة زيلع في وسط البحر فحصروه بها ومنعوه الماء إلى أن دلهم من لا يتقى الله على الوصول إليه، فلما وصلوا إليه قاتلهم فأصيب في جبهته بعد فقده الماء ثلاثة أيام فخر إلى الأرض فطعنوه فمات - رحمه الله - وهو يتشهد ويضحك، وذلك في سنة خمس وثماني مائة، وقد ملك نحواً من ثلاثين سنة وكان رجلا صالحا.

وفى أيامه مات جده على بن صبر الدين في سجن الحطى بعد ما قام مسجونا نحو الثلاثين سنة، ولما قتل سعد الدين ضعف المسلمون بموته واستولى الحطى وقومه أمحرة على البلاد، وسكنوها وبنوا بها

الكنائس، وخربوا المساجد، وأوقعوا بالمسلمين وقائع نزل بهم فيها من القتل والأسر والسبي والاسترقاق مالا يمكن التعبير عنه مدة عشرين سنة.

وكان أولاد سعد الدين قد فروا إلى بر العرب، وهم عشرة أكبرهم صبر الدين على، فأكرمهم الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل ملك اليمن، وأنزلهم ثم جهزهم، وقاد لهم ستة أفراس، فخرجوا إلى موضع يسمى سيارة حتى فتح الله عليهم ولحق بهم عساكر أبيهم، فقام بأمرهم صبر الدين على وزحف لقتال أمحرة في سبعة من الفرسان سوى المشاة، وقاتل في موضع يقال له ذكر أمحرة وهم في ثمانين فارس، فهزمهم واستولى على ذلك الموضع، وسار إلى سرجان وقاتل من كان هناك وكسرهم، وحرق كنائسهم وبيوتهم وغنم من الذهب وغيرهما مالا يحصى، ومازال ينتصر على أمحرة حتى جمعوا له وصاروا في عشرة أمراء تحت يد كل أمير زيادة على عشرين ألفا، ومقدمهم يقال له بخت بقل، فملكوا بلاد المسلمين وأقاموا بها سنة وصبر الدين بمن معه يفرون من بلد إلى بلد وبهم من الجوع والعطش والتعب مالا يوصف، ثم أيده الله وقواه حتى جرد أخاه محمدا ومعه حرب جوش وغيره من الأعيان في عشرين فارسا إلى بلد يقال لها رطوى فقاتلوا أمحرة قتالا عظيما قتل فيه مقدمهم في عدة من أمراء الحطى، وقتل من عسكرهم مالا يحصى وهزموا باقيهم، وغنموا غنائم كثيرة وملكوا البلد زمانا ثم صار صبر الدين بنفسه وطلع إلى بيت الملك وقاتل أمحرة، وقتل أميرا كبيرا، وحرق بيت الملك، وأكثر في قتل من هنالك وعاد، ثم جرد أخاه إلى قلعة بروت

ففتحها صلحا وعاد منصوراً ثم جرد أمير اسمه عمرو معه ستة فرسان إلى بلاد لجب وأمحرة في عدد كالجراد، فكانت بينهم واقعة عظيمة قاتل المسلمون فيها قتالا شديدا حتى ماتوا كلهم، وقد صارت المزاريق تأتيهم كالمطر من كثرتها ثم قطعوا بالسيوف - رحمة الله عليهم - وشهد صبر الدين مرة وقعة كاد العدو أن يأخذه قبضا باليد فنجا بفرسه وقد اعترضه واد عرضه نحو عشرة أذرع فوثب بفرسه حتى تعداه، وخلصه الله منهم، وما زال يلى أمر المسلمين إلى أن مات على فراشه مبطونا بعد ثماني سنين في حدود سنة خمس وعشرين وثماني مائة، وكانت سيرته مشكورة.

فقام بالأمر أخوه منصور بن سعد الدين وعضده أخوه محمد وسار إلي جداية وهى دار ملك الحطى وبها صهره، فقاتله حتى أخذ أسيراً، وقتله في عدة كبيرة، فالتجأ نحو الثلاثين ألفا إلى جبل يقال له مخا فحصرهم فيه زيادة على مدة شهرين يقاتلهم كل يوم حتى كلوا وجاعوا وعطشوا، فنادى فيهم يخيرهم بين الدخول في دين الإسلام وبين اللحاق بقومهم، فأسلم منهم نحو العشرة آلاف، ونزلوا إليه من الصبح إلى غروب الشمس، وصار من الغد بقيتهم إلى بلادهم، فغنم من الخيل مائتي فرس عربية.

وأقام عشرة أيام وقد جمع أمحرة فأتوه في عدد كالجراد المنتشر من كثرتهم فقاتلهم أشد قتال حتى كلت الفرسان وخيولها من شدة الحرب، وقتل عشرة من أمراء المسلمين، فوقع منصور وأخوه محمد في قبضة الحطى إسحاق المدعو أبرم بن داود بن سيف أرعد فكاد يطير من الفرح

وقبض عليهما وسجنهما ووكل بهما، وذلك في سـنة ثمـان وعشـرين وثماني مائة لسنتين من ولاية المنصور، واستولت النصارى من أمحـرة على البلاد كما كانوا وقعوا.

وعندما قبض على منصور قام بالأمر في الحال أخوه جمال الدين محمد بن سعد الدين وهو ضعيف، وقد بقي معه مـن الأمـراء حـرب جوش، وكان من أمراء الحطى فأسلم في أيامه سعد الـدين وقـدم إليـه فصار من أكابر الأمراء لقوته وشجاعته وكثرة أتباعه، فخرج على جمال الدين البرا بر فوجه إليهم حرب جوش فعرض عليهم الصلح وقد جمعوا له جمعا فيه سبعة آلاف قوس وسيف، فأبوا إلا محاربته وهو مواقفهم من الصبح إلى الظهر ثم قاتلهم قتالا حتى هزمهم الله إلى بيوتهم وهـو فـي أقفيتهم، فانقادوا لأمره ودخلوا في طاعته، ودفعوا إليه زكاة أموالهم وعاد مؤيدا ظافرا.

ثم بعث حرب جوش إلى بلاد بالى في عشـرين فارسـا، فلقـي أمحرة وهم في عدد عظيم لم يجتمعوا فيما مضى مثله، فقاتلهم أشد قتال، فانتصر عليهم وعاد، فجمع الحطى عساكر كثيرة جدا ونزل جداية، فسار إليهم جمال الدين وحاربهم، وعاد منصورا فتوجه أمحرة إلى بجرة وقـد استطال الحطى وجمع عليه نحو مائة أمير، وعـزم علـى أن لا يبقـى بالحبشة مسلما، فلقيه جمال الدين في خمسمائة فارس وقد جمع الحطـى من الفرسان ما لا يحصى كثرة، فكانت بين الفريقين وقعة عظيمة فقتـل الله أمحرة وهزم باقيهم.

وركب جمال الدين أقفيتهم وهو يتبعهم ثلاثة أيام، وهو يقتل ويأسر حتى امتلأت الأرض بالقتلى، وحرق الكنائس والبيوت، وسبى النساء والأولاد، وغنم الأموال حتى بلغت عدة الخيول المسبية التي غنمها زيادة على مائة فرس، وأما الخيول العراة فلا تحصى لكثرتها، وأقام في هذه الغزوة ثلاثة أشهر.

وبعث حرب جوش إلى بالى فقتل وأسر وسبى ما لا ينحصر، وغنم غنائم عظيمة حتى صار يعطى لكل فقير ثلاثة رءوس من الرقيق، ومن كثرتهم أبيع الرأس من الرقيق بربطة ورق وبخاتم واحد، ورجع منصورا غانما.

فسار جمال الدين بنفسه لغزو أمحرة في جمع عظيم لم يجتمع لآبائه مثله، ومعه ألف فارس وهو يقتل ويأسر ويسبى ويغنم، والحطى بجموعه هارب منه، وهو في طلبهم يتبعهم خمسة أشهر حتى وصل إليه فلم يقابله الحطى، وهرب منه إلى رأس بحر النيل، فعاد جمال الدين بغنائم لا تعد ولا تحد.

ثم بعث أخاه والأمير حرب جوش إلى دوروا فأوقعا وأمحرة وقائع عديدة وأسرا منهم ثلاثة أمراء، وغنما ستين فرسا وغنائم كثيرة، وعادا بأعز نصر.

ثم سار جمال الدين بنفسه يقتل ويأسر مسافة عشرين يوما، فتفرقت أمحرة في ثلاثة مواضع تريد أن تأخذ بلاد جمال الدين وعياله، فعاد راجعا يريد لقاهم، وقطع مسافة عشرين يوما في سبعة أيام حتى لقيهم ببلاد تسمى هرجاى وقد تعب هو وأصحابه تعبا كثيرا والعدو

مستريح، فكانت بينهم وقعة عظيمة، ومن كثرة الجموع وشدة القتال اختلط الناس فما كان أحد يعرف صديقه من عدوه، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فأخذوا جانبا من أمحرة، وانتصر أمحرة وأخذوا جانبا من المسلمين، وغنم كل منهم ما حازه.

ثم سار على جمال الدين بنو عمه وحسدوه وقتلوه في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثماني، وله في السلطنة سبع سنين.

وكان خير ملوك زمانه دينا، ومعرفة، وقوة، وشجاعة، ومهابة، وجهادا في أعداء الله بحيث إنه ملك كثيراً من بلاد الحطى وأعماله، ودخل جماعات من عمال الحطى وولاة أعماله في طاعته، وقتل وأسر من أمحرة الكفرة ما لا يدخل تحت حصر حتى امتلأت بلاد الهند، واليمن، وهرمز، والحجاز، ومصر، والشام، والروم، والعراق، وفارس من رقيق الحبشة الذين أسرهم، وسباهم في غزواته ومازال مؤيدا من الله تعالى منصورا على أعداء الله حتى ختم الله له بالحسنى، وكتب له الشهادة.

وكان يصحب الفقهاء، وأهل الفقر من الصالحين، ونشر العدل في أعماله حتى في أهله وولده، ولقد بلغ من عدله أن لعب بعض صغار أولاده ذات يوم مع أنداده وأترابه من الولدان فضرب صغيرا منهم كسر يده، ولم يبلغ جمال الدين حتى مضت مدة، فاشتد في الإنكار على خدمه أن لم يعلموه، وطلب أولياء الصغير الذي كسر يده وعاتبهم على إخفاء هذا عنه، وجمع أهل دولته وطلب ابنه الجاني على الصغير في كسر يده ليقتص منه، فقام أعيان الدولة وأمراؤهم بين يديه يتضرعون إليه في

العفو وأنهم يرضون أولياء الصغير فلم يفعل، وأبى إلا إحضار ولده فحضر إليه، فلما قدم إليه ليقتص منه ضج الجميع بالبكاء، وقام أولياء المكسور وعفوا، فلم يرجع إلى أحد وقدم ابنه إليه، وأخذ يده بيده ووضعها على حجر وضربها بحديدة فكسرها وهو يصيح ثم أغمى عليه، وأصوات ذلك الجمع على كثرته قد ارتفعت بالعويل والبكاء رحمة للصغير فكان أمرا مهولا، وجمال الدين مع ذلك ثابت وقائل لولده ذق كما أذقت ولد الناس. حدثني بهذا الخبر الثقاة الذين حضروا ذلك المجلس بين يدي جمال الدين وشهدوه، فلم يتجاسر بعد ذلك أحد من أهل الدولة أن يمد يده لمال أحد بغير حق، ولا استطاع بعدها جليل ولا حقير أن يجنى على غيره، وكان من شدة مهابته إذا أمر بشيء أو نهى عنه لا يتعداه أحد من أمرائه بل يقف الجميع عند أمره ونهيه في جميع أعماله خوفا من شدته سطوته واتقاء عقوبته.

مناقبه عديدة، ومآثره كثيرة وجميلة، وجملة القول فيها أن الله تعالى أيد به الدين وأعز بدولته الإسلام والمسلمين، وكان من جليل سعادته أن الله تعالى أهلك في أيام دولته طاغية أكفر الحطى إسحاق بن داود بن سيف أرعد في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمان مائة.

فأقيم بعده اندراوس بن إسحاق، فهلك لأربعة أشهر من ولايته، وقام بأمر أمحرة عمه حربناى بن داود بن سيف أرعد، فهلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين بعد أشهر من ولايته، فأقيم بعده سلمون بن إسحاق بن داود بن سيف أرعد فكان أربعة ملوك في نحو سنة.

وفى كل ذلك تعظم فتوحات جمال الدين الجليلة وتتعــدد وقائعــه العظيمة وتكثر أعماله وعماله وغنائمه وأسراه وقتلاه وسباياه، تمكينا من الله تعالى له في الأرض وتأييدا له بالنصر، ومع هذه الفتوحات العظيمة، ولقد أسلم على يديه عالم من أمحرة لا يحصى عــددهم هــداهم الله بــه وأنقذهم من النار يُمْن دولته، وذلك بفضل الله يؤتيه من يشــاء، والله ذو الفضل العظيم.

ولما استشهد جمال الدين قام بأمر المسلمين من بعده أخوه شهاب الدين أحمد بدلاى، ومازال يجتهد في تحصيل قتل أخيه جمال الدين حتى ظفر به، وقتله وجرى على سنة أخيه في غزو أمحرة، وفتح من بلادهــم عدة أعمال وقتل طائفة من أمرائهم وحرق البلاد وغنم، وقتــل، وأســر، وسبى عالما بحيث كثرت الأموال من الذهب والفضة والثياب والــدروع في أيدى جماعته، وحازوا من الوظائف ما لا يعد، وخرب ست كنــائس، وعدة قرى. فاسترد الباقي من أيدى النصارى ورد إليها ألف بيــت مــن المسلمين إلى أنه حدث في أيامه تسع وثلاثون وباءً عظيماً مات فيه مــن المسلمين والنصارى عوالم كثيرة جدا، وهلك الحطى وأقاموا بعده صــبيا صغيرا.

هذا والسلطان بدلاى مقيم في بلاد دكر، وأخوه خير الدين في بلاد ركلة، وأظهر بدلاى سيرة بالعدل في مملكته، فأمنت الطرقات، وانكــف الناس عن الظلم من العساكر وغيرهم، ورخصت الأسعار فــي أيامــه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الجانب الجنوبي من الأرض وهو بلاد السودان

(قال ابن سعيد ما معناه): إنا إذا ابتدأنا في بلاد السودان من الغرب. فأول ما نجد فيه من المدن التي للسودان العراة المهملين الذين هم كالبهائم، وذكر من بلادهم ما أسماؤها أعجمية غير محققة فأضربنا عنها. قال: ثم منها إلى أنهار النيل، وينابيعه وبطائحه حسبما نقلنا في صدر الكتاب.

ومن بلاد السودان قاعدة التكرور[1] قال ابن سعيد: وهي أعلى جانبي النيل حيث الطول والعرض. قال: التكرور قسمان: قسم حضر، ويسكنون المدن، وقسم رحالة في البوادي وبلاد النوبة على شرقي النيل وقاعدتهم مدينة دنقلة، وبلاد البجة بين بحر القلزم وبين بحر النيل. وبينهم وبين النوبة جبال منيعة وبلاد زغاوة تحاذى بلاد النوبة على ضفة

---

(١) التكرور: تقع شرق إقليم كوكو. وهى على النهر. وطعام أهلها السمك والذرة والألبان، وأكثر مواشيهم الجمال والمعز، ولباس عامة أهلها الصوف و خاصتها القطن. بينها وبين سلجماسة المغربية أربعون يوما بالجمال. أما تكرور فشعب زنجي يعيش في فوتة على جانبي نهر السنغال. انظر القلقشندى: صبح الأعشى، وزارة الثقافة، مصر، بدون. ج٥ ص٢٨٢-٢٨٦ وانظر عبد الرحمن زكى: تاريخ الدول الإسلامية السودانية، الألف كتاب، القاهرة١٩٦١. ص٩.

النيل من الغرب. وبلاد الحبشة متصلة بالبحر وساحل بلاد الحبشة مقابل لبلاد اليمن، وللحبشة مدن كثيرة، وبلادهم تتصل بالخليج البربرى، وليس بين الحبشة شيء من النخيل، وبين عدن وبين زيلع ثلاث مجازٍ، وزيلع عن عدن في جهة الغرب بميله إلى الجنوب.

(قال ابن سعيد): إن عرض ذنب البحر الهندي[١] من بر المندب إلى بر بربرا ثمان مجازٍ وجبل المندب هو الفاصل بين بحر الهند الكبير وبين بحر القلزم[٢] الذي يخرج منه، وهو صغير يمتد اثني عشر ميلا من الشرق إلى الغرب بانحراف إلى الشمال، والبحر يضيق هناك حتى يرى الرجل صاحبه من البر الآخر، ويقولون هو قدر مائتي سهم. ويسمى المسافرون هذا المكان باب المندب، وهو من حيث الطول ثمان وستون درجة ونصف درجة. والعرض إحدى عشر درجة ودقائق، ولابد للمراكب من دخولها وخروجها منه، وإذا فارق باب المندب يأخذ في الاتساع والزيادة قليلا قليلا إلى أن يكون اتساعه عند مدينة عوان فيما بينها وبين تهامة اليمن وعوان ستين ميلا حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض ثلاث عشر درجة ونصف درجة، وهى مشهورة، وسكانها حبشة، مسلمون . وإذا كان الصحو ظهر منها الجناح وهو جبل عال في البحر ومنها إلى جزيرة دهلك[٣] جزائر صغار لصاحب اليمن ولصاحب دهلك، وأكبر هذه الجزر وأشهرها جزيرة كمران وهى

---

(١) البحر الهندي:المحيط الهندي.

(٢) بحر القلزم: البحر الأحمر. أما القلزم فهي مدينة السويس.

(٣) دهلك: جزيرة في البحر الأحمر، على طريق المسافر بين عيذاب إلى اليمن.

مسكونة وقريبة من بر زبيد، وفى شرق عوان وشمالها مـن المقـرض المشهور علايقة فرضة زبيد، وبينهما أربعون ميلا.

مدينة غانه – بفتح الغين المعجمة والألف ثم نون وهاء في الآخر – من بلاد السودان

وبمدينة غانه محل سلطان بلاد غانة ويدعى أنه من نسل الحسين ابن على عليهما السلام، وإلى غانا تسير التجار المغاربة من سلجماسة(١) في بر مقفر ومفاوز عظيمة نحو خمسين يوما، ولا يحضرون منها غيـر الذهب الأحمر، وقد حكى ابن سعيد أن لغانه نيلا هو شقيق نيل مصـر، قال: ومصبه في البحر المحيط عند طول عشرة ونصف وعرض أربـع عشرة، فيكون بين مصبه وبين غانا نحو أربع درجـات، وغانـة علـى ضفتي نيلها. قال: وغانه مدينتان إحداهما يسكنها المسـلمون والأخـرى الكفار.(٢)

مدينة برسا – قد كتبناه في الجدول حسبما وجدناها – من التكرور

(قال ابن سعيد): ومدينة بريسا من أشهر بلاد التكرور، وهى على شمالي نيل غانة، ولا يوجد الخبز إلا طرفة عنـد ملوكهـا، والأبنـوس عندهم كثير. وفى ديارهم شجر القطن.

---

(١) سجلماسة: بلدة مغربية كانت تقع على طريق القوافل.

(٢) عبد الرحمن زكى: مرجع سبق ذكره. ص٧٧-٧٨.

كوكو – الظاهر أنها لاتقبل التصرف وهى مكتوبة في الكتب

كافين وواوين

(قال بن سعيد): كوكو[١] مقر صحب تلك البلاد وهو كافر. يقابل من غربيه مسلمى غانة ومن شرقيه مسلمى الكانم، ولكوكو نهر منسوب إليها، وهي في شرق نهرها. قال في القانون: كوكو واقعة بين خط الاستواء وبين أول الإقليم الأول. قال في العزيزى: وعرض كوكو عشر. قال: وهم مسلمون.

سفالة الزنج – بالسين المهملة والفاء ثم ألف ولام وهاء في الآخر – من بلاد الزنج

من القانون، وسفالة من الزنج، وأهلها مسلمون، وهم جنوبي خط الاستواء، والعرض المذكور جنوبى. قال ابن سعيد: وأكثر معايشهم من الذهب والحديد، ولباسهم جلود النمر. وذكر المسعودي أن الزنج لا يعيش عندهم الخيل فعسكرهم رجالة، ويقاتلون على البقر. أقول: وسفالة أيضا من الهند.

(١) كوكو: أحد الأقاليم في منطقة غرب إفريقيا، كانت من ضمن أقاليم سلطنة مالي. وموقعها على نهر النيجر. وتعتبر من أحسن بلاد السودان. زارها ابن بطوطة، ويزرع بها الأرز، وتعامل الأهالى بالودع عوضا عن النقود. انظر عبد الرحمن زكى: مرجع سبق ذكره. ص١٢٧.

بربرا – الظاهر أنها بفتح الباء الموحدة والراء المهملة الساكنة ثم باء ثانية وراء ثانية أيضا وألف في الآخر مقصورة – قاعدة بلادهم

(قال ابن سعيد): ومدينة بربرا قاعدة البرابر،[١] وقد أسلم أكثرهم، فلذلك عُدِمَ رقيقهم في بلاد الإسلام.

زغاوة – الظاهر بالزاى والغين المعجمتين ثم ألف وواو وتاء في الآخر – من الزنج

(قال ابن سعيد): وقاعدة الزغاويين[١] حيث الطول والعرض. وقد أسلم أهلها، وخلوا في طاعة الكانمى، وفى جنوبها مدينة زغاوة ومحلات الزغاويين والتجويين ممتدة في المسافة التى على اعوجاج النيل، وهم جنس واحد غير أن التاجويين أحسن صورة وخلقا من الزغاويين. قال في العزيزى: ومن دنقلة إلى بلاد زغاوة في سمت الغرب عشرون مرحلة.

---

(١) البرابر المقصود بهم سكان الصومال.

(١) الزغاوة: هم شعب حامى مختلط بعناصر زنجية، وتمتد أوطانهم من بلاد دارفور حتى بحيرة تشاد، وقد هاجر الزغاوة إلى هذه المناطق مابين عامي (٨٠٠م) و(١٢٥٠م)، وقد تعرض الزغاوة لهجرات من قبائل الطوارق، والتبو، والتدا. استطاع هؤلاء المهاجرين إخضاع قبائل الزغاوة لسلطانها، وكان اعتناق قبائل الزغاوة للإسلام في حوالي النصف الأول من القرن الحادي عشر، واستطاعوا تكوين دولة كانم.

دنقلة مدينة النوبة – الظاهر أنها بضم الدال المهملة ونون ساكنة وقاف مضمومة وفتح اللام ثم هاء في الآخر

(قال ابن سعيد): ودنقلة[١] هي قاعدة النوبة، وفي جنوبيها وغربيها محلات زنج النوبة الذين قاعدتهم كوشه خلف الخط والنوبة نصارى. وهى غرب دنقلة وشماليها مدنهم المذكورة.

جرمي – بالجيم المفتوحة والراء المهملة الساكنة ثم ميم مكسورة وياء مثناة تحتية في الآخر كذا وجدناها مضبوطة بخط ابن سعيد – قاعدة الحبشة

وهى مدينة ذكرها أكثر المصنفين في كتب المسالك والممالك والأطوال والعروض، وأنها كرسي مملكة الحبشة وقاعدتهم.

مقدشو – وإنها في "مزيل الارتياب" مضبوطة بالشكل كذا بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة وضم الشين المعجمة وفى آخرها واو – من زنج الحبشة

مقدشو[١] على بحر الهند، وأهلها مسلمون، ولها نهر عظيم يشبه نيل مصر في زيادته في الصيف قد ذكر أنه يخرج شقيقا لنيل مصر من

---

(١) دنقلة: عاصمة مملة مقرة النوبية، وكانت تمتد هذه المملكة من حدود مصر الجنوبية حتى الشلال الثالث جنوبا، وكانت المملكة قد اعتنقت المسيحية في القرن الأول والثاني الميلادي، واشتد انتشار المسيحية في القرن الخامس الميلادى، وقد كان لها تنظيم إدارى يقسم المملكة إلى ولايات صغيرة يحكمها نواب الملك، وكان من أشهر الولايات ولاية الجبل، وأشهر منصب هو منصب صاحب الجبل حيث كان من أهم اختصاصاته مراقبة الحدود الشمالية للمملكة، وإعطاء الإذن لمن أراد أن يمر.

بحيرة كورا، ويصب بالقرب من مقدشو في بحر الهند. قال أبو المجد الموصلي في "مزيل الارتياب": مقدشو مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة.

زيلع – الظاهر أنها بفتح الزاي المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح اللام ثم عين مهملة في الآخر – من فرض الحبشة

(قال ابن سعيد): وزيلع مدينة مشهورة من مدن الحبشة، وأهلها مسلمون، وهى في ركب البحر وزيلع في الوطأة، وحرها شديد وماؤها عذب من حفارات، وليس لها بساتين ولا يعرفون الفواكه، وقال في "القانون": وزيلع فرضة الحبشة نحو أرض اليمن وفيها مفاض، وهى بين خط الاستواء وبين الإقليم الأول، وعن بعض من رآها أن زيلع مدينة صغيرة نحو عيذاب في القدر وهى على الساحل، وفيها شيوخ يحكمون بين أهلها، وعندهم تنزل التجار، ويضيفونهم ويبتاعون لهم.

بلاد سحرتا – عن بعضهم بالسين والحاء ثم راء مهملات وتاء مثناة فوقية ثم ألف في الآخر، ومنهم من يبدل الألف هاءً – بلاد مفردة بذاتها من عمل الحبشة

سحرته من أجناس الحبشة المشهورة.

---

(١) مقدشو: أسسها الإخوة السبعة من أبناء الحارث، وقد حكمت فترة كبيرة من عام (٢٩٢-١٠٦٧هـ/٩٠٥-١٦٥٦م)، وقد ازدهرت اقتصاديا، ولعبت دورا رئيسيا في نشر الإسلام، وقد تعرضت لهجوم البرتغاليين عام (١٤٩٨م) عندما ضربها، فاسكو دي جاما بالمدافع، مما أدى بالسكان للاستنجاد بعمان التى أرسلت أسطولا في عام (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) استطاع إبعاد الخطر البرتغالي.

وفات – وهى جبرة أيضا بالواو المفتوحة والفاء ثم ألف وتاء مثناة فوقية في الآخر – من بلاد الحبشة

عن بعض المسافرين إليها قال: وفات، ويقال لها جبرة أيضا من أكبر مدن الحبشة. قال: ومن زيلع إليها نحو عشرين مرحلة، وعمارة وفات متفرقة دار الملك على تل، والقلعة على تل، وهى بعيدة عن البحر جدا هي في جهة الغرب عن زيلع، وبها الموز وقصب السكر، وأهلها مسلمون، وهى على نشز من الأرض ولها واد فيه نهر صغير وتمطر في الليل مطرا كثيرا.

هدية – بالهاء والدال المهملة والياء المثناة التحتية ثم هاء في الآخر كذا قاله بعض من رآها – من بلاد الحبشة

(وعن بعض المسافرين أيضا) قال: وهدية بلدة للحبشة جنوبي وفات، ومنها يجلب الخدام، ويخصونهم في قرية قريبة من هدية.

جيمي – وهى على النيل بكسر الجيم والياء المثناة التحتية الساكنة وكسر الميم ثم ياء مثناة تحتية ثانية في الآخر حسبما وجدناه في خط ابن سعيد – قاعدة بلاد الكانم

(قال ابن سعيد): هي قاعدة بلاد الكانم[1]، وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد، وهو من ولد سيف بن ذي يزن، وله في سمت جيمي

---

(١) أسس مملكة كانم، الأسرة السيفية، وهم من رعاة الإبل غزوا بعض قبائل التبو في الشمال، والبربر، والكانمبوا،ثم أسسوا دولة كانم ،وجعلوا عاصمتها في نجيمى. وبعد أن اعتنق أهل الكانم الإسلام في القرن الحادي عشر بسطوا سلطانهم على قبائل السودان الشرقي إلى حدود

مدينة فيها بساتين ومستترة وهى غربي النيل الآتى على مصر، وبينهـا وبين جيمي ميل، وبها فواكه، وبها الرمان، والخوخ، وقصب السكر.

تم بحمد الله

مصر والنوبة، ويعتبر حمى جلمة هو المؤسس الحقيقي للدولة وحكم في الفترة من (١٠٨٥-١٠٩٧م). انظر عبد الرحمن زكى: مرجع سبق ذكره. ص١٧٦-١٧٧.

ملاحق الكتاب

الملحق الأول

خطاب الإمبراطور يكونو أملاك إلى السلطان بيبرس يطلب منه الموافقة على تعيين مطرانا مصريا للحبشة

أقل المماليك يقبل الأرض وينفى بين يدي السلطان الملك الظاهر - خلد الله ملكه - أن رسولا وصل إلى من والى قوص بسبب الراهب الذى جاءنا، فنحن ما جاءنا مطران مولانا السلطان، ونحن عبيده، فيرسم مولانا السلطان للبطريرك أن يجهز لنا مطرانا يكون رجلا جيدا عالما لا يجنى ذهبا ولافضة، ويرسله إلى مدينة عوان، وأقل المماليك يسير إلى نواب الملك المظفر صاحب الملك ما يلزمه، وهو يسيره إلى مولانا السلطان إلا أننى كنت في سكار والملك داود قد توفى وقد ملك موضعه ولده، وعندي في عسكري مائة ألف فارس مسلم. أما النصارى فكثير لا يحصون، والكل غلماني وتحت أمرك، والمطران الكبير يدعو لك، والخلق كلهم يقولون آمين، وكل من يصل من المسلمين بلادنا نكون له أقل المماليك ونحفظهم ونسفرهم كما يحبون ويختارون. وأما الرسول الذى سفروه فهو مريض وبلادنا وخمة أى من مرض فيها لا يقدر أحد أن يدخل إليه يشم رائحته فيمرض ويموت، ونحن نحفظ كل من يأتى من بلاد المسلمين . فسيروا مطرانا - حفظكم الله.

المصدر زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا. ص٢٤٦.

الملحق الثاني

خطاب الإمبراطور يجبيا صيون إلى السلطان قلاوون

المملوك المحب سليمان ملك الحبشة يكباب صهيون(يجبيا صيون) مضمونه: أنه سير صحبة يوسف بن عبد الرحمن شريفي حربة مذهبة مشعل، ويسأل في إنفاذ مطران لإصلاح بلاد الحبشة التى فيها النصارى والمسلمين. وقال: إنه ما هو مثل والده إننى أحفظ المسلمين في مملكتي، ومولانا يحفظ النصارى في بلاده، حتى نصير مشورة واحدة ويدا واحدة، وتتواصل الرسل من الجهتين. والذي جرت به عند إنفاذ المطران من الخدم والجواري والذهب والأسد يصل مع رسولي. وكان يطلب بيسير ذلك صحبة رسوله يوسف لكن تأخر لأجل المطران الصريان الذى أتلف البلاد في زمان والدي-هو من أعداء المسلمين- واشتهى أن تحضر المطلوب صحبة رسول السلطان وصحبة رسولي، وأنا أنتظر جواب السلطان بما يصلح المسلمين والنصارى حتى تنصلح بلاد الحبشة، ولا يقول السلطان ما وصلتنى العوايد التى جرت العادة بها عند طلب المطران، فإذا وصل صحبة رسول السلطان ورسلي وعملت ما يشتهيه السلطان، ويوصى على البطريرك.

المصدر زاهر رياض:تاريخ إثيوبيا. ص.٢٤٧.

الملحق الثالث: (معجم بالأرقام العربية السواحيلية)

الرقم العربي	النطق بالسواحيلي	الرقم العربي	النطق بالسواحيلي
واحد	موجا	أربعون	أربعيني
اثنين	ميلي	خمسون	خمسينا
ثلاثة	تامو	ستون	ستيني
أربعة	آني	سبعون	سبئينى
خمسة	تانو	ثمانون	ثمانينى
ستة	سيتا	تسعون	تسئينى
سبعة	سابا	مائة	يية
ثمانية	ثاني	ألف	ألف
تسعة	تيسا	مليون	مليون
عشرة	كومي	سبعة عشر	كومى يا سابا
أحد عشر	كومي ياموجا	ثمانية عشر	كومى يا ثانى
اثنا عشر	كومي ياميلى	تسعة عشر	كومى يا تيسا
ثلاث عشر	كومي يا تامو	عشرون	آشيرينى
أربعة عشر	كومي باآنى		
خمسة عشر	كومي يا تانو		
ستة عشر	كومي يا سيتا		

المصدر عبد الرحمن محمد النجار: رحلة دينية إلى إفريقيا، دار المعارف القاهرة١٩٨٥ صفحة ٢٢٢ - ٢٢٣.

الملحق الرابع

معجم ببعض الألفاظ السواحيلية العربية

الكلمة العربية	النطق السواحيلي	الكلمة العربية	النطق السواحيلي
خبر	خباري	عقل	آكيلي
كامل	كاميلي	مصحف	مصاحفو
نصف	نصه	شكر	كوشوكورو
عمر	عماري	خسر	هيسارة
مرضى	مراضي	صبر	كوصابيرى
قبول	كبولي	دين	ديني
قريب	كاريبو	شريعة	شاريعا
قلم	كالامو	خوف	خوفو
دكان	دكاني	كنيسة	كانيسا
فكرة	فيكيرة	خصوصاً	كوهوسو
صحة	سيها	مشقة	ماشاكا
خطبة	هوتوبا	حلال	حالالى
الحرية	آهورو	نعم	ناعاما
كتاب	كتابو	ماء	ماجي
علم	عيليمو	صلاة	صالا

المصدر عبد الرحمن محمد النجار: رحلة دينية إلى إفريقيا، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥. صفحة ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

أهم المصادر و المراجع

أولا: المصادر الأصلية:

١- القرآن الكريم.

٢- ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن عبدالله) ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م.

تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٦.

٣- ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن على) ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م.

إنباء الغمر بأنباء العمر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر. ج٣. ١٩٩١م.

٤- السخاوى (محمد بن عبد الرحمن محمد) ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م.

الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، مكتبة المقدسى، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

٥- القلقشندى (شهاب الدين أحمد بن على) ت٨٢١هـ/١٤١٨م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة، مصر. بدون

٦- مجهول: السلوة في أخبار كلوة ، وزارة التراث، عمان ١٩٨٥.

٧- المقريزى (تقي الدين أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/١٤٤٦م.

٨-الإلمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة لجنة التأليف، مصر ١٨٨٥م.

٩-السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٧٢. ج٤. قسم ٢.

١٠- عرب فقيه (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر) عاش في القرن السادس عشر الميلادى.

١١- فتوح الحبشة، نشر رينيه باست.

ثانيا: مراجع عربية ومعربة:

١- توماس أرنولد:الدعوة للإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧.

٢- جمال زكريا قاسم (دكتور):الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، معهد البحوث العربية، القاهرة١٩٧٥م.

٣- حسن إبراهيم حسن (دكتور):انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى، معهد البحوث العربية، القاهرة١٩٥٧م.

٤-حسن أحمد محمود (دكتور):انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة١٩٦٨.

٥- رجب محمد عبد الحليم (دكتور):الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ١٩٩٧. ج٢.

٦- العمانيون والملاحة والتجارة، مكتبة العلوم، مسقط، عمان١٩٨٩.

٧- زاهر رياض (دكتور):تاريخ إثيوبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة١٩٦٦.

٨- محمد كمال الدين(دكتور):أربعة مؤرخين، وأربعة كتب، الهيئة العامة للكتاب، مصر١٩٩٢.

٩- محمد مصطفى زيادة (دكتور):تاريخ حياة المقريزى، مجموعة أبحاث، الهيئة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٧١.

١٠-عبد الرحمن زكى(دكتور): تاريخ الدول السودانية، مجموعة الألف كتاب، القاهرة١٩٦١م.

ثالثا: الدوريات:

١- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): أضواء على كتابات المقريزى، مجلة عالم الفكر، الكويت ١٩٨٣. المجلد الرابع عشر.

أسماء الأعلام

الأماكن والقبائل

الألقاب والرتب والوظائف

الديانات والمذاهب والطرق

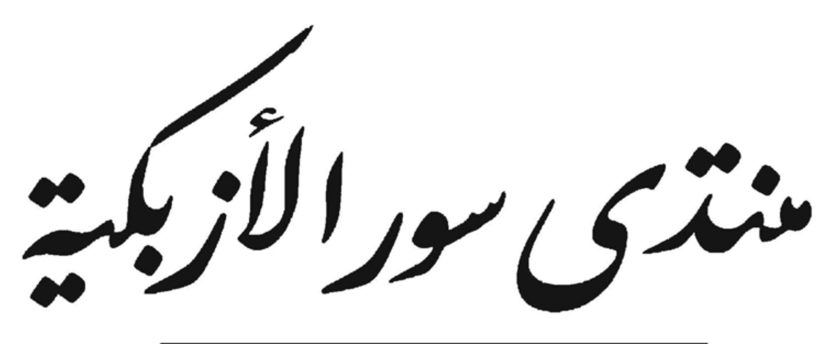
قام بالتصحيح

مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي

وتحقيق التراث والتصحيح اللغوي والمراجعة

ت:٠٢/٠٥٤٥٩٧٥٠ – محمول:٠١٠٩١٢١٩٥٠٠

مصر – القاهرة


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

فهرس الموضوعات